الفصل الثاني
تطور مفهوم فلسفة الهوية
وصناعتها في عصر العولمة

أولاً- تطور مفهوم الفلسفة في عصر العولمة :

العنوان الشامل لهذا الكتاب يطرأ في مجمله كلمة فلسفة ، وفلسفة موضوع واسع تحدث عنها الكثير من علماء الفلسفة، لذلك لا أريد كباحثة في خوض هذا المعني والمفهوم، لأن كتب عنها الكثير من الفلاسفة الفلسفة الاجتماعين والنفسين والتفسيرين .. الخ .

برغم تعدد الآراء فيها والأفكار فيها، ولكن تبقي حقيقتها المعروفة في معرفة الظواهر والكون، وفهم الأشياء و الذوات ومعرفة التقصي لتلك الذوات والأناوات والأخروات، وماهية الأصل و الشئ وعلاقتهما بعضها ببعض، ولان بروزها مع بروز الإنسان في هذا الكون والوجود، ودخلت في العديد من التنبؤات والتساؤلات مع نفسها ومع واقعها ومع وجودها في هذه الحياة، وأثارت العديد من الأسئلة فيسأل بدائياً الإنسان من أنا ؟ ولماذا أنا ؟ ولماذا نحن ؟ ولماذا السماء والأرض ؟ ولماذا الليل والقمر ؟ ولماذا الشمس والنجوم؟ فدخل مضامير هذه الحياة وفلسفتها بالعديد من التساؤلات تدور في الذهن والنفس، وهنا ممكن التفلسف الذاتي عند الإنسان ما يعرف (بالضميرالمتحدث) أو (العقل المفكر)، أو (بالإنسان والأنا) ... الخ، وهذا يدل علي الطبيعة الفلسفية الموجودة عند الإنسان منذ القدم نحو التأمل العقيم والمنطق والشك ما في حوله من البراهين والعلل يدور حول هذا العالم من طبيعة الخلق وطبيعة الأشياء وما وراء هذه الطبيعة (الميتافيزيقيا) هنا المسألة معمقة ومثيرة في الفلسفة العقل والحكمة سواء كانت مسألة الوحدة وما تحتويها من التنوع في الحياة والقدرة علي تفسير العلل والظواهر، خاصة في حل مشكلة وجود الإنسان في هذه الحياة، وذاتية لنفسه وللآخر أو في مسألة تحليل الإحساس والإدراك بالطبيعة الوجودية للفلسفة هنا العقل يفكر بالمقياسين والإدراك عند الإنسان بين الخير والشر والقبيح والجميل (علم الجمال) (وعلم الأخلاق) وما تحتويه من سلوكيات النابعة من طبيعة الإنسان من اللذة والشهوات الجنسية (كل ما يتعلق بالملذات والغرائز) الفطرية والطبيعة .

وأن الفلسفة عبارة عن علم شغوف بالإستمرار في البحث والاستقصاء عن المدركات والحواس والبقاء في الموجودات هذه الحياة وما وراء فلسفتها ووجودها، وهنا لماذا الإنسان والحيوان والنبات وطبيعة الوجود بالذات في هذه الدنيا ؟.

والفلسفة تحتويها العديد من الموضوعات المكملة لهـا في بحـث أصـل الفلـسفة والمستمرة حتى يومنا هذا في البحث والكشف عن الذات والبرهان والعلـة الوجـود والكون ... الخ وهي محددة ومتطورة مثل علاقة الفلسفة بعلم الجمال وعلم الفن وعلم الأخلاق وعلم المنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ والجغرافيـا وعلـم فلسفة الطبيعة وما ورائها من حقائق الوجود وعلم السياسة وعلم القانون وعلم الطب وعلم الزراعة وعلم الهندسة وعلم الحياة (العلوم) ... الخ إذا الفلسفة هي أم العلوم .

فالفلسفة تتطور مع وجود الإنسان في هذه الحياة لأنها بدأت بالإنسان وسـتنتهي بالإنسان ... الخ.

وهناك العديد من العلماء الفلاسفة يمكن التطرق إليهم مثل العالم الإنجليزي جورج بركلي (**1685– 1753** م)(بحث في نظرية المعرفة، وذهب إلي أن لا وجود للمـادة وليس الإ العقل والروح، وكان له قدرة علي التعبير عن الآراء الفلسفية بعبادة واضحة ظريفة) [1] .

أما العالم بنتام هوجرمي بنتام، عالم الإنجليزي (**1748 – 1832** م) (اشتهر ببحتة في الأخلاق والقانون ومن أكبر دعاة مذهب المنفعية وربما عد مؤسسة وألف في أصول القوانين) [2] .

وأوستفالد (**1853**) – (**1932**) وليام اوستفالد، ألماني، منح جـائزة نوبـل في الكيمياء لعام **1959** م واشتهر (بنظريته الطاقية التي أطلق عليها اسم الأحذية الطاقية باعتبار أن الطاقة وحدها هي علة كل التغيرات في الطبيعة) [3]، وهنا علاقة الفلـسفة بالطاقة الكيمائية وما نتجت عنها من علل في الظواهر والمتغيرات في الذرات الكيمائية سواء كانت التحليلية أو الوصفية ... الخ وما أطرا عليه من قوانين ديناميكية في قانون حفظ الطاقة وأشكالها. وبالنسبة للعالم الفلسفي أو نامونو ، ولد في بلباو وتعلم بمدريـد (**1864 – 1936**) وكانت فلسفته في هذه الحياة تقوم علي (الأيمان بالفرد كحقيقـة أكثر من إيمانه بالمجتمع) [4] فهو يري حقيقة الفرد لا تكمل إلا بالتنمية الذاتية وشخصيته

---

1 - أ.س راوبرت ،مبادئ الفلسفة ،ترجمة احمد أمين .القاهرة :مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة السابعة ،1965م ، ص25.

2 - نفس المرجع السابق ،ص 252.

3 - عبد المنعم حنفي ،الموسوعة الفلسفية .تونس: دار المعارف ،ص 75.

4 - نفس المرجع السابق ،ص 78 ، ص79 .

مع نفسه. والعالم الفيلسوف اينشتاين فهو يهودي ألماني (1879 – 1955م) وواضع (نظرية النسبية الخاصة والعامة وتعلم في زيورخ) [1].

وغيرهم من الفلاسفة الذين تتحدثوا عن الإنسان والعقل والمعرفة والعلم والقوة والطبيعة والكون ويمكن ذكرهم مثل ليزباسكال وقديس اغسطين وهيجل وجورج بارلكي وبار ميندس الإيلي وأوريجين وأبيقور وسقراط وأرسطو وأفلاطون وبطرس أبيلار وأدلر ألفريد وإدنجتون آرثر وديكارث وديسيديريوس إرازموس واريوس السكندري، وصامويل إسكندر وإسكندرهاليي وأقراطيلوس، فيثاغورس، أفيناريوس والقدس نوما الأكويني وأندرية ماري وأمبير ووليام شامبو وشبنجلرأوزفالد وماكس قبير، وماكس شترز، هربرت سبنير، وشليجل فريدريك وآرثرشوبنهاور... الخ، وهنا تعمدت كتابة العلماء الأوربين والأجانب، وأشرت إليهم لأنهم تقدموا في مجال علم الفلسفة في هذا العصر في نفس الوقت لاننسي الفلاسفة العرب الدور العلمي في تطوير منهجية البحث العلمي في الفلسفة ومن أمثالهم عبد الواحد بن زيد، ابن خلدون، ابن سينا، ابن رشد وابن سبعين، وابن طفيل وابن صفوان، وابن عباد السلمي وابن بطوطة وأبن الجاحظ وابن عدي ومحمد إقبال...الخ، الذين مارسوا الحركة الفلسفية في تلك العصور من اجل تطور النهضة العلمية الحاصلة اليوم في أوروبا وأمريكا ومجمل دول الشمال المتقدم وهنا كان دور هؤلاء الفلاسفة في بناء النظرية المادية والنفعية والوجودية والعقلية والتجريبية والروحانية والعلمية والحاسية والقياسية ومذهب الواحدية اللاثينية وقضية العالم في النظرية الدينية.

ولقد تعمدت إلي الإشارة المبسطة والمتواصلة والسريعة في مفهوم الفلسفة لأن موضوع الكتاب يحتوي علي مفهوم الهوية والهوية في قلب علم الفلسفة وخاصة في هوية الإنسان من حيث وجوده في هذا الكون وعلاقتها (بالانتروبولوجيا) العامة (علم الإنسان العام) والذات وأنا والآخر وكيف تطورت هذه الهوية الوجودية إلي هوية المجتمع والدولة والقارة والي المستوي الدولي والقاري ؟ وكيف تطورت فلسفة الهوية من هوية الإنسان في هذه الحياة إلي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية والعسكرية والثقافية والدينية ... الخ ؟.

1- نفس المرجع السابق ،ص 82.

وكيف تأثرت الهوية بالقبيلة والعقيدة والعرقية والانقسامات المتعددة في ظل التوحد وهوية العنصرية والهوية الطائفية ... الخ ؟ ومدي التأثيرها من الجانب المعرفي والنفسي والعقلي والإيديولوجي والتجريبي والإنتمائي والشخصي والطبيعي ... الخ ؟.

وكيف تطورت من الفردية إلي الجماعية إلي المجتمعية إلي الدولية والقارية ؟ إذا نستطيع الدمج بين التطور والهوية لأن الهوية نابعة أيضاً من التاريخ والحضارة والأصالة والأدب والفنون والمشاعر والأحاسيس والتطور نابع من العوامل الطبيعية والإنسانية الحاصلة معنا في الزمن والتاريخ وما يحتويه من نظريات المنهجية والعلمية في كافة التخصصات أي بمعني التطور يحصل في كل شئ في هذه الحياة مادام الحياة مستمرة والإنسان موجود علي سطح هذه الأرض ولان التطور منبع الفكر والعقل والتجربة والتطبيق ... الخ، والحياة تطور بالإستمرار وعقل يتغير ويتجدد بالإستمرار والتطور هنا يعني الحركة والديمومة والاستقرار بين التباث والدوران ويبين الإنتاج الثقافي والإنتاج الحضاري لأن التطور دائماً في صراع من أجل الوصول إلي التقدم والأفضل والجادلة والحوار بدون تصادم.

*** مفهوم التطور في عصر العولمة :**

وفي هذا الإطار يمكن لنا توضيح مفهوم التطور هو عبارة عن نظرية علمية تقول بأن الكائنات الحية من الحيوان والنبات، مرت وتمر في تطورات وتنوعات تقدمية، شرحها وعمقها تشارلز داروين في كتابة (أصل الأنواع) وقد كان النظرية التطور أثر كبير وواسع في منهج التفكير العلمي البيولوجي والفيزيائي، وفي العلوم الاجتماعية وغيرها والواقع أن نظريات التقدم وبعض النظريات التقدم وبعض النظرات الماركسية تأثرت تأثراً عميقاً وفي بعض الأحيان مباشراً بنظرية التطور)[1].

وهنا نستطيع أن نوضح العلاقة بين التطور والفلسفة في هذا العالم الإنساني وخاصة فلسفة التطور له نظرياته وفلسفة الهوية لها نظرياتها وكل نظرية (لا تفرق بين المادة والروح ولا بين الذات والموضوع وتنظر إليها علي أنهما وحدة لا تنفصل)[2].

ويشير أيضاً أحمد زكي بدوي إلي أهمية مفهوم التطور في العلم حيث يري (نمو بطئ متدرج يؤدي إلي تحولات منظمة ومتلاحقة تمر بمراحل مختلفة ترتبط فيها كل مرحلة

1- عبدالوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1990م، ص 764.

2- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد لفلسفية.تونس: دار الجنوب النشر، 1994م، ص 494، ص495.

لاحقة بالمرحلة السابقة تتطور الأفكار والأخلاق والعادات ويؤيد ضرورة التحول والتغير والتنوع والتكامل مستمر دينامكي)[1].

وتحليل لهذا الموضوع تكمن في هوية تطور الفلسفة لأنها تدخل في جميع جوانب الحياة المتعلقة بالإنسان بدرجة الأولي تم الطبيعة وما حولها بدرجة الثانية، وهي أيضاً أصل وأم العلوم في التحليل وفي الإستقراء والمنهج والمنطق والتجربة ... الخ .

أما التطور في القاموس السياسي للدكتور رجب أبو دبوس يشير (إلي فعل التقدم أي الحركة إلي الإمام، مثل تقدم جماعة. كما يشير إلي تقدم والتطور في الزمن تاريخياً، والتقدم يعني تغيير حالة فيها يجري العبور إلي درجة أعلي بمعني صعود- أعتقد في تقدم الإنسان علي نفسه فهو يشير إلي تطور إيجابي نحو الافضل تحسين التغير تقدم نحو الأفضل- فيه نقترب من تحقيق الهدف أو حصول النتيجة، ويمكن أن ينتج التقدم الإصلاح وتطور الإنسانية الحضارة نحو مثال تسعى إليه مسارالإنسانية نسميه تقدماً وهو يقوم علي افتراض صعود مستمر يقترب من مثال التقدمية: نظرية سياسية أو إيديولوجيا تؤمن بالتقدم)[2].

إذاً التطور له تأثير كبير في تغير نمط الحياة الإنسان وذاته وعقله وتفكيره لإن التطور يعني الخلود والإستمرار في كافة المجالات في الإنسان والحيوان والنبات والأرض والسماء والبحر والعلم والكتاب والطبيعة...الخ، وذلك من أجل تحقيق الفلسفة الإستراتيجية في إثبات الهوية وحضاراتها التاريخية واثبات السلوك والشمولية الحياة المتعلقة بالإنسان الفرد والمجتمع والدولة والقارة والعالم الإنساني.

والسؤال يتمحور حول نفسه مدي تأثير التطور في فلسفة الهوية الخاصة والعامة والمكتسبة والفطرية، وكيف تطورت في هذا العصر مع اتجاه الإنساني ؟.

إنها حيثيات عميقة في التغير والتحليل والتفسير لأنها تعبرعن الاتجاهات والانفعالات والعواطف والملذات والشعور حتى أستطاعت التلاحم في العلاقات الاجتماعية أكثر من الشخص والمجتمع والتكامل في العلاقات الدولية أكثر من الدولة أوالقارة .

ولماذا تطورت الهوية عند الإنسان وكبرت مع نفسه وغيره ؟ ولماذا تطورت معها العلوم والطبيعة الكون والعالم الإنساني إلي الدولية والقارية ؟.

---

1 - زكي بدوى، معجم فلسفي .

2 - رجب أبودبوس ،القاموس السياسي .الجماهيرية :دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي ،1425م ص 79.

واختلفت في تنوعها وفق هوية كل دولة، ومضمونها كانت ولازالت في الأنساق والأنظمة والقيم والاجتماع والوجود العالمي ووعي لها .

وازدادت أهميتها وفكرتها في هذا العصر بزيادة الدلالات والاحتجاجات من قبل الدول المعادية للهوية لأن الهوية هي أصل الشئ وحقيقة الشئ ثابتة لا يمكن زعزعتها، خاصة في الأمة العربية ومجتمعاتها المختلفة وأنظمتها المختلفة.

وتكمن الهوية أيضاً في الوطنية والقومية وتأسيسها، وفي الرموز والإشارات العلمية وخاصة في تحليل المعلومات وكيف ولدت كلمات جديدة موافقة مع مصطلح الهوية في الآراء والأفكار؟، وتأخذ هذه التحولات في الهوية خاصة في الفكر والعقل والتاريخ والوجود الشئ والصيرورة والكينونة والواقع لأن الهوية (هي دائماً يعاد تصنيعها أو يعاد تشكيلها في داخل الممارسات والعلاقات والرموز الموجودة والأفكار والواقع أن هناك رموزاً متكررة وأفكاراً متكررة اعتدنا استخدامها) [1].

وذلك من أجل تحديد مفهوم الهوية بشكليها الخاص والعام وتحديد معناها في إطار تولد الفكرة من العقل وفي مضمونها الجديدة وربطها بالهويات الأخرى ويستوجب الأمر هنا إلي التفكير في هوية الانتماء وهوية العرق التي يستند إليها العديد من العلوم التاريخية والدينية والسياسية وعلم الاجتماع والاقتصاد والأنتربولوجيا، وذلك لتحديد (معاني المقولات والتعريفات، حتى لا يشوه التحليل، من خلال غموض الكلمات المستخدمة أو عبر الترسيمات الاختزالية المعمقة من قبل أطراف الحرب)[2].

والمتنازعة مثل ما هو حاصل الآن بعد حرب إسرائيل علي لبنان، وفي نفس الوقت غرض من هذاالحرب شن حرب أهلية وانتشار الفتن علي لبنان وعلي منطقة الشرق الأوسط خاصة في سوريا وفلسطين وإيران والأردن الذي لها الطوائف الدينية والسياسية والعنصرية والمذهبية، بل الدولة نفسها وهويتها.

والطائفة لا تعبر عن الانتماء العرقي لأن كليهما لهما وقائع تاريخية وثقافية واجتماعية وجغرافية ودينية ولغوية، والأثينية لها علاقة بالعرقية والتنوع في الذين، بهذا

---

1 – جوج لارين الايدولوجيا، الهوية الثقافية الحداثة وحضور العالم الثالث. مصر: مكتبة مدبولي، الطبعة الأولي، 2002 ف، ص269.

2 – جوج لارين، الايدولوجيا ، والهوية الثقافية الحداثة وحضور العالم الثالث .مصر :مكتبة مدبولي ،الطبعة الأولي ،2002 ف ،ص27 .

تحولت إلي التنوع والتعدد في الهوية عند القبيلة والعشيرة والحزب والطبقة والقلة، لهذا السبب تطورت الهوية إلي الدولية في عصر العولمة إلي انقسامات مختلفة في الهوية وخاصة بعد الحرب العسكري مثل ما هو حاصل الآن في العراق، بعد ما كانت محصورة الهوية علي الإنسان والوجود والطبيعة، أصبحت الآن محصورة علي عدد مناطق ودول لإن الأطراف الدولية متعددون الجوانب يحملون شعائر مختلفة وذلك من أجل الحياة البقاء والخلود، والسبب الرئيسي في النزاع علي الهوية هي إسرائيل عقب احتلالها علي لفلسطين **1948**م، الذي تعتبر أول دولة أعلنت الصراع علي الهوية في الشرق الأوسط وبعد وذلك تحولت هذه الصراعات إلي صراعات الدولية، دليل علي ذلك شن الحروب علي لبنان وفلسطين والعراق .

والرسالة التاريخية للهوية موجودة في الثقافات والحضارات والنظريات المتعددة وفلسفها في المفهوم الحقيقي لها في هذا العصر لأن وجود هناك صراع علي الهوية بكافة أنواعها وصراع علي الإرادات والصراع علي الحضارات والثقافات برغم من وجود النداء المستمر حول حوار الحضارات ... الخ .

وتحقيق التوازن في الهوية الدولية الراهنة تتواصل في التقارب والتقدم لإن الهوية الشخصية في الجوهر والنفس والتخيل والتباين، وانتشار الصور في الذهن ورسمها في كيف تكون الهوية في العالم ؟ وكيف يتم علاجها بدون أي نزاعات وصراعات من أجلها وبدون مفاوضات لحل تلك النزاعات ... الخ .

ومحور الهوية في العالم الراهن تكون في أروقة المنطق واللغة وهذه الأخيرة لها تأثير كبير في حلقة التواصل والاتصالات لأنها مرتبطة بوسائل الاتصالات العلمية والمعرفية (التقنية التكنولوجية العلمية)، واتسع مجال الهوية في اللغة من لغة الكلام إلي لغة علمية عبر شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) وهنا تولد لنا العلاقة بين التواصل اللساني والتواصل الالكتروني لفهم حقائق الموجودة في العالم وفي الهوية الدولية الجديدة ولأن التواصل منذ وجود الحقبة من التاريخ أي (دور متواصل في التاريخ والثقافة والقوة بعيدة عن أن تكون مجرد صحوة للماضي لتؤمن إحساسنا بدواتنا الأبدية)[1].

1- جوج لارين، الايدولوجيا ، والهوية الثقافية الحداثة وحضور العالم الثالث .مصر :مكتبة مدبولي ،الطبعة الأولي ،2002 ف، ص27 .

نحو هويتنا العالمية المعبرة في التشكيل والتصنيع في داخل الممارسات والعلاقات والرموز الموجودة في العقل والأفكار في اللامحدود، وهنا تكون هويتنا مرتبطة بين الوجود الفردي والوجود الدولي وعلاقتها بطريقة مباشرة بالولاء والانتماء سواء كان الولاء وانتماء السياسي أو الاجتماعي...الخ لأن وجود العديد من الدول تعاني من عدم الولاء والانتماء السياسي والاجتماعي الأصل ... الخ، وأيضاً لأنها مرتبطة بالذات والموضوع والقومية والوطنية ومضمون الهوية هنا في جذورها وتاريخها وأصولها في أي دولة من دول العالم .

ويلعب النظام الإحصائي للهوية دور كبير في تحديد الشتات من البشر وخاصة الشتات العرب الفلسطين والعراقيين بسبب الحرب وهذه الإحصائية تساعد علي تحديد الهوية وتنظيمها، خاصة من الجانب الدولي سواء كانت من الدول العربية أو الغربية أو الأمريكية أو الأفريقية، وتساعد علي الحفاظ علي الهوية وأصلها التاريخي. ومن هذا المنطلق تعتبر الهوية من القضايا مهمة في هذا العصر لأنها تدخل في مصير الذات، ومصير حق تقرير المصير ومصير الإنسان ومصير الشخصية ومصير الإقامة والجنسية ومصير الاستقرار والأمان ومصير كينونة العالم ومصير الوطنية ومصير القومية ومصير السيادة في عصر العولمة وحل هذه المشكلة العالمية بتدوين البيانات والمعلومات باستخدام النظام الإحصائي الالكتروني لتحقيق الوجود الحقيقي للإنسان في أي مكان من العالم وخاصة الشتات، وهذا بالطبع يعبر عن الحقيقة الموجودة في التعدد والتنوع والتوحد في الهوية لأنها هي لصيقة بالإنسان منذ القدم، حتى أن أصبحت لصيقة بالدولية والقارية .

وهنا الإشكالية الحقيقة، لها طريقة في علاجها وحلها خاصة في الجانب السياسي والاجتماعي والثقافي .

وبذلك تختلف الهوية من عصر إلي عصر وتطور، حيث نري في عصر الحديث كانت الهوية تعتمد عل أساس الشعور القومي للدول وخاصة الدول العربية، وأيضاً علي الوعي الذاتي والذي كان يمثل في الواقع الحركة الرومانطقية في التعامل بين الدول، وكذلك علي وجود طبيعة الإنسانية الواحدة واعتمادها علي العقل والفكر، وكل هذه الاتجاهات تميز بها الهوية في عصر الحديث، وهذا التميز لعب دور في تطوير الهوية في هذا العصر، وأصبحت أغلب الدول الحديثة تبحث عن هويتها الذاتية والتاريخية سواء كان عبر تكوين هذه الدولة الحديثة أو ما بعدها أو عبر الهجرات والحروب وما خلفتها من

الآثار التاريخية في حقبة الاستعمار وأنتجت لها هوية وتـــاريخ وحـــضارة، والعوامـــل الجغرافية ودورها في تحديد سلالة الإنسان وحقيقته وجوده في هذا الكون، هنا تنوعت الحضارات والثقافات بين هوية السكان في القطب الشمالي وهوية السكان في القطـــب الجنوب .

وعلي أية حال تبدو الهوية الدولية معاصرة مع الحدث لأنها تطورهـــا تم في إطـــار مؤسسي حسب مقتضيات الظروف مثال ذلك في الهوية الاقتصادية بدأت تدخل الهوية في مجال الاستثمار والتنمية ووحدة السوق والتعاون مع الشركات المتعددة الجنـــسيات (شركات عبر القارات) والتكامل التنظيمي في بورصة والأوراق المالية والتجارية وطبيعة الإنتمائية، وبذلك تأخذ هنا الطابع في وحدة التكامل الاقتصادي، وأيضاً في علاقة الهوية بالاقتصاد، والإنتاج وأستطاعت الهوية الدولية بأن تحمل في طياتهـــا مجموعـــة هويـــات وتطور وفق آليات العصر الجديد وتتمزق وفق الوضع الراهن بالأسلوب الاستعماري، وأنها تتطور من حضارة قديمة إلي حضارة جديدة، تحمل عنوان (حضارة هوية العولمـــة الدولية الجديدة) .

والبحث عنها، تكمن في الوقائع والأحداث والأشياء الدامغة الذي تكونـــت مـــن تراكمات الثقافية والاجتماعية إلي السياسية والاقتصادية والقانونية والتكنولوجيـــة لأن الهوية تعني المعان في الكلمة وأصلها، ويوضح الفيلسوف هيجـــل الألمـــاني في هويـــة الديالتيك يري بأنها عبارة عن عناصر مشتركة من الذوات وتناقضات لتلك الـــذوات ويخرج بالتالي تحدي أخر لتلك الذات المتفاعلة لتنتصر تم تأتي ذات آخر نقيضها، وهكذا وهذه الفلسفة المادية لهجل أفرزت لنا المعطيات دولية قوية في هذا العصر وخاصـــة في ظل الضغوط والتحديات والاحتكاك لكل هذه الدوافع النفسية والفلسفية وأخرجـــت لنا ذوات دولية في ظل تناقضات دولية في آن واحد .

بما أن الهوية تخدم مصالح الدول المتقدمة صناعياً ستؤثر في المستقبل علـــي الهويـــة العرقية والدينية والقبلية والطائفية وما ينتج عنها من حروب أهلية من أهـــل الدولـــة الواحدة إلي دول متعددة.

بهذا تكون الهوية تمس الواقع العالمي وتمس القضايا الإستراتيجية الجوهرية والمهمة في مسائل المتعلقة بالعولمة وهويتها التاريخية وبالشخصيات الموجـــودة في العـــالم خاصـــة الشخصية الاعتبارية والشخصية السياسية .

ومن هنا تعمل الهوية علي تحديد فكرة الدولة وتحديد موضوع أصل الشئ في القوانين الوضعية والطبيعية وفي ماهيتها التاريخية وفكرة الذات وهويتها يمكن في أن تتوحد بدون نقيض لإنها هويتها في الذات الأنا ولكن إذا وجدت لها نقيض مستخرج ذات أخرى، ويصعب توحدها وهنا لأنها تحمل في جعبتها التناقض المستمر عقب ظهورها في المراحل المختلفة، هذا التحليل يؤثر بشكل الطبيعي علي ذاتية الدول في ظل الصراعات، وعلي هوية القيم الدولية، وبهذا تكون الهوية تختلف من فرد إلي فرد ومن مجتمع إلي مجتمع ومن دولة إلي دولة ومن قارة إلي قارة برغم وجود ذوات متعددة وهويات متعددة الإ إنها مختلفة في ظل هذا التوحد، وهكذا العالم اليوم بين التعدد والتوحد في ظل العولمة .

وديناميكية الهوية متغيرة تميل إلي الضرورة والاختبار والأصل والذات في نفس الوقت مهما أختلفت عنها المسارات والاستراتيجيات نأخذ مثال علي ذلك الهوية في تركيا، حيث لعبت الهوية دور في (نجاح حزب اليسار الديمقراطي ودعمت هذا الحزب في الانتخابات لأنه أعلن موقفاً منفتحاً في موضوع المعقد، وانه يري في الطرق الدينية مؤسسات المجتمع المدني)[1] وتلعب هنا حقيقة التاريخية بين الهوية العلمانية والهوية الإسلامية. وتأسس المجتمع المدني علي قاعدة من السيطرة علي الدولة، لأن عند هذا التطور أعطت فرصة سانحة لاستيلاء علي المصالح العامة وأجهزة الدولة ومؤسساتها هنا خطورة هوية تركيا لأنها تعيش علي هويتين في المجتمع الواحد وهما الهوية الإسلامية والهوية العلمانية، وكان يفترض هذا التعدد لا يؤثر علي المجتمع الواحد لأن وجود هناك العديد من الدول تعيش في تعدد في الهوية في ظل دولة واحدة خير مثال علي ذلك الهوية في ليبيا فهي نابعة من ذاتية وأصل واحد برغم التعدد مثل هوية أمازيغ في ليبيا وتاريخها وحضارتها ولغتها، حيث أنهم يعترفون (بلغتهم ومساواتها باللغة العربية مطلبا أساسياً للحفاظ علي خصوصيتهم ولا تناقض مع هويتهم الإسلامية ولا مع انتمائهم للوطن والعروبة)[2] وتحقيق التوازن في الهوية الدولية يعني تحقيق هوية السلام العالمي علي نطاق

1- محمد نور الدين ،حجاب وحراب الكمالية وأزمات الهوية في تركيا .رياض :الريس الكتب والنشر ،الطبعة الأولي، 2001 ف، ص 225.

2- ندوة حول الهوية الامازيغية في ليبيا لأول مرة منذ 37 عاما ، الامازيغية بين الأصالة والحداثة. طرابلس : www.103.com. 2007

واسع في الأنساق والنظم والقيم والأفكار وفي حل المنازعات الدولية والتخلص من التناقض في ذاتية الهوية وتؤدي إلي التوحيد أكثر من انفصامها،وتؤدي إلي العلاقة بين الجاذبية والقابلية التفاعل فيها، وهنا تكون القاعدة قد اتسعت مجالها في الهوية من مستوى الدولي إلي مستوى القاري.

مما تقدم من ذلك نرى الهوية تلعب بين تحليلين تحليل المحتوى وتحليل المضمون، أى بين محتوى الموضوع وبين معرفة مضمون الحقيقي لهذا المحتوى خاصة في مسألة الانتماء للهوية، ومعرفة مستقبلها من حيث الفكر واللغة لأنها لها علاقة بالأدب والتقاليد الثرات والثقافة ومرجعية التاريخ لها وخصوصية الذات...الخ ولأن الهوية العربية تلعب دور في مفاتيح هويات العالم الراهن، وكيف حركت الهوية العربية مشاعر الهوية الدولية ؟ وطريقة تأسيسها مع تاريخ العالم الجديد.

ثانياً- تطور مفهوم الهوية في عصر العولمة :

يمكن في هذه الدراسة أن نحدد مفهوم مصطلح الهوية بأنها عبارة عن (مقولة تعبر عن تساوي وتماثل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاته أو تساوي موضوعات عديدة .

فالموضوعان أ، ب يكونان متطابقان من حيث الهوية إذاً كانت كل الصفات (والعلاقات) التي تكون تميزاً مميزاً أيضاً للموضوع ب، والعكس بالعكس (قانون لايبنتز)، ولكن لما كان الواقع المادي يعتريه تغير مستمر، فأنه لا يمكن أن تكون هناك موضوعات تنطبق هويتها بصورة مطلقة علي ذاتها،حتى في صفاتها الجوهرية والأساسية، والهوية متعينة وليست مجردة، أي أنها تحتوي علي تميزات كامنة وتناقضات يتم حلها خلال عملية التطور التي ترجع إلي شروط معينة، ويتطلب تعين هوية الأشياء أن يكون قد تم تميزها مسبقاً، ومن ناحية أخري فأن الموضوعات المختلفة غالباً ما تحتاج إلي تحديد هويتها (بهدف تصنيفها مثلاً).

وهذا يعني أن الهوية ترتبط أرتباطاً يمكن فصمه بالتميز كما أنها نسبية وكل هوية للأشياء مؤقتة وانتقالية بينما تطورها وتغيرها مطلقان. ومع ذلك فإن العلوم المضبوطة تستخدم الهوية المجردة أي المستخرجة بطريقة التجديد من تطور الأشياء ، وفقاً لقانون لايبنتز المذكور،ظالما أن تكوين فكرة عن الواقع وتبسيط أمران ممكنان وضروريان في ظروف معينة خلال عملية الإدراك، وقانون الهوية المنطقي يصاغ أيضاً بحدود مماثلة

ولكن التوسع في تطبيق هذا علي الواقع الذي هو سمة من سمات الميتافيزيقا يفضي إلي النتيجة القائلة بأن الأشياء غير قابلة للتغير وثابتة)[1].

وأيضاً يمكن أن نحدد مفهوم الهوية بأنها (هوية الإنسان ما به يكون هو نفسه ، أي الصفات الأساسية التي تجعله إنساناً هذه هوية نوعية تتعلق بالنوع الإنساني).

والهوية أيضاً (ما به يكون الشخص هو نفسه، وهذا يعني الصفات الأساسية فيه كفرد، وما يتميز به عن غيره من الأفراد هوية فردية، وأيضاً تعبر الهوية عن حصيلة خصائص ثقافية، عرقية، إنتمائية امتزجت خلال التاريخ والحياة المشتركة لتشكل هوية اجتماعية، أي يجعل الجماعة متميزة عن غيرها من الجماعات : هوية اجتماعية.

أما الهوية السياسية فهي صفة المواطنة التي تصف مواطن دولة ما ويمكن ملاحظة ما يلي :

في الدولة الوطنية دولة أمة، الهوية الاجتماعية ليست مأخوذة بعين الاعتبار، الهوية السياسية تقوم فقط علي المواطنة أو التبعية الدولة وشروطها الأرض، السكان، النظام، الدولة هذه يمكن أن تضم هويات اجتماعية مختلفة ورغم ادعاء أن الدولة الوطنية تتجاوز الهويات الاجتماعية المتعددة المكونة لها. إلا أنه في الغالب تسود الهوية الاجتماعية للمكون الأقوى أو أكثر عدداً .. هذا يمكن أن يقود إلي ذوبان الهويات الأخرى في الهوية الكبرى أو علي الأقل هامشيتها وعدم تأثيرها بفضل قوة الدولة وتمكنها من تحقيق دمج الوطني للمكونات الاجتماعية المتعددة، وقد تفتقر الدولة لأسباب مختلفة عن تحقيق هذا الدمج، عندئذ تدخل الهوية السياسية في تناقض مع الهويات الاجتماعية، ويزدوج الولاء الدولة مما يحدث الاضطراب وعدم الاستقرار .

وهذا يساعد علي حدوث التناقض بين الهوية الاجتماعية والهوية السياسية علي نحوين التالين :

1 – أن تضم الدولة هويات اجتماعية مختلفة دون إمكانية صهرها في هوية واحدة، عندئذ يكون أساس الدولة هشاً عرضه للإختزال والاضطراب .

2 – أن تضم الدولة جزءاً من هوية اجتماعية أوسع وأشمل، عندئذ الهوية السياسية لا تتناقض فقط مع الهوية الاجتماعية وإنما أيضاً بل تناقضي مع الهوية الاقتصادية وكل

1- وضع لجنة من العلماء والاكادميين السوفياتين ،الموسوعة الفلسفية .ترجمة سمير كرم .بيروت :دار الطليعة ، الطبعة الأولي 1974م ،الطبعة الرابعة ،1981م ،ص 564.ص 565.

عمل من أجل تقوية الهوية السياسية يصب في دعم الهوية الاجتماعية مما تفشل جهود الدولة في ترسيخ[1] (هوية السياسة الوطنية في عصر العولمة) وأن الحالة الأخيرة حالة الأقطار العربية في هذا العصر مثل في فلسطين بين حركة حماس وحركة فتح وفي العراق بين طوائف المختلفة والإديان المتعددة مما ساعد هذا علي حدود أزمة سياسية واقتصادية في تحقيق وحدة المصالحة الوطنية من جميع الجوانب المتعلقة (بالهوية الإنسان العربي).

وإزاء علي ذلك نري بأن التحديات الراهنة لساسة الهوية الاجتماعية زادت ذروتها المتفاقمة في تعدد الهويات سواء كانت علي مستوي التدخل الوطني في السياسة الداخلية أو علي مستوى التدخل الأجنبي في السياسة الخارجية والدولية ، وهذا سهل في حدوث فجوة في الهوية الاجتماعية وساعدت علي فشل جهود الدولة في حل المعضلة الأزمة الهوية في المجتمع المحلي لمواطنيها وخاصة في العروبة. (بينما في الهويات السياسة ليست إلا مجرد وجود داخل حدود سياسة موروثة عن الاستعمار الخارجي)[2].

رغم أن الوصول إلي هوية السياسية في تطابقها مع الهوية الاجتماعية لازال حلم غير متوقع إلا أن الهوية القطرية محكوم عليها بالقصور والفشل حتى هذا العصر حيث إنها تطور بتطور التحديات علي الهوية الدول. والمأزق الراهن في عصر العولمة للهوية الدولية تعتبر الآن فاشلة غير محققة لان السياسة في الدولة الوطنية توجد بها الحرب عن الهوية في إطار الحروب الأهلية ، مما ساعد هذا علي فشل في استمرار الهوية الاجتماعية وذلك بسبب السلطة والقيادة، وهذه الخطوة تعبر عن أن (الهوية الاجتماعية لم تتجسد بعد في دولة تتطابق معها. الهوية الاجتماعية تجذب نحو كيان أوسع لأن الهوية السياسية تقاوم هذا الجذب العربي بين هويتين: اجتماعية وسياسية). وتحديد مصطلح الهوية ودلالته اللغوية في حدذاتها وفي هوية الأنا والهوية الاجتماعية والهوية الفلسفية والهوية الثقافية والهوية النفسية والهوية العرفية ... الخ ولكن عندما نتمعن في مصطلح الهوية نراها نشتق من أصل لاتيني (يوناني) الأصل (ويعني أن الشئ نفسه Samenss أو الشئ الذي هو ما هو عليه نحو يجعله بياناً لما يمكن أن يكون عليه شئ آخر)[3].

---

1 – رجب بودبوس ،قاموس سياسي :دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،الطبعة الأولي ،1425م،ص 100.

2 – نفس المرجع السابق ص 100.

3 – نفس المرجع السابق ص102.

ومصدر الهوية في اللغة العربية (مصدر صناعي مركب من (هو) ضمير الغائب المعرف بأداة التعريف (الـ) ومن اللاحقة المتمثلة في الـ (ي) المشددة وعلامة التأنيث وفي الفرنسية والإنجليزية واللاتينية يعني لفظ (Idemid) ضمير الإشارة الغائب بمعني ذاته ويستعمل هذا الضمير للدلالة أحياناً علي الاختصار وعدم التكرار عند الإشارة إلي شئ محدد)[1].

أما مفهوم الهوية من الناحية الفلسفية، حيث توضح الموسوعة الفلسفية بأن الهوية (تهدف إلي حل مسألة العلاقة بين الفكر والوجود بين الروح والطبيعة عن طريق الاقرار بالتناهي المطلق بينهما ويتعارض المبدأ الأساسي في فلسفة الهوية تعارضاً قاطعاً مع المذاهب الثنائية وترتبط فلسفة الهوية. كمفهوم فلسفي محدد ارتباطاً تاريخياً شيللنع الذي حاول أن يتغلب علي ثنائية مذهبي كانط وفيختة بتقديم مبدأ أولي جديد لفلسفة واحدية هو التناهي المطلق بين الذاتي، والموضوعي، المثالي والواقعي، كذلك يكمن مبدأ هوية الفكر والوجود في المذهب الهيغلي الذي كان يدرك هيجل ويفهم الهوية فهماً جدلياً وليس كمطلق غير قابل للحركة) [2].

ومن الاستقراء السابق للمفاهيم الهوية نري بأنها سعت إلي تحديد الهوية الدولية في عصر العولمة وتحديد إحساسها الذاتية في العالم الآن حيث أنها زادت في التنوع في الهويات المتعددة والولاءات الوطنية والقومية والقطرية والإقليمية والقارية والعالمية الموحدة يمكن أن نسميها في إطار (الهويات البعيدة في السياسات والتقاربات) بين الدول سواء عن طريق الحرب أو السلم فان الهوية تعدد بتعدد الطوائف والقبائل وبتعدد الانقسامات ولكن في نفس الوقت تتعدد بتعدد الدول والقارات الجديدة في العالم في إطار التعاون والبرتوكولات والسياسة الدولية والعلاقات الدولية والاتفاقيات الدولية أكثر زيادة في التعاقد والتعدد في عصر العولمة يمكن أن نسميها (هوية عصر العولمة الجديدة) والثبات العالمي والاختلافات الدولية عن الهوية وخاصة هوية الحروب الأهلية بين الشعب نفسه، حيث تراه منقسم إلي دويلات صغيرة طائفية وقبلية، من أجل الحرب والسلم في نفس الوقت ومن أجل القيادة والحكم والسلطة مثل ما هو حاصل الآن في فلسطين بين حركة حماس وحركة الفتح والشعب اللبناني وحكومة الجديدة من قبل

1 – محمد إبراهيم عبد ،الهوية والقلق والإبداع .الناشر دار القاهرة ،2002،ص 17

2 – نفس المرجع السابق ،ص 17 ، معجم في اللغة العربية .نقل عن مصدره الأصلي.

الطوائف الكثولوليكية والارترذوكسية والأديان السماوية المتعددة فيها حيث نراهم اليوم معارضين ضد السياسة في لبنان الحالي (في إطار حكومة السنيورة) وهنا حلقت أزمة بين المعارضين من الشعب وبين التعدد في الهويات والمعارضات وبين الدولة اللبنانية وحكومتها، وهذه له تأثير كبير علي النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المجتمع والدولة وله أصداء كبير حول الدراسات الدولية في العالم الراهن لماذا هذا التعدد من الهويات في عالمنا المعاصر وعالمنا المعولم ؟ لماذا لم تعطي الدولة المتحالفة من الدول الأوروبية الأمريكية استراتيجية التحقيق بين المصالح العامة والخاصة في هذه الانقسامات في الهويات المتعددة سواء كانت في لبنان والعراق وفلسطين والسودان كل هذه العوامل تعطي مؤشرات كبيرة في السياسة الاقتصادية لوجود تعدد في الهويات في اليوم وفي الغد وفي المستقبل المتوقع ومدي تأثيرها علي النظريات العالمية القديمة والجديدة لدي العلماء والفلاسفة والمفكرين في العالم العربي والعالم الأمريكي و العالم العربي والعالم الأفريقي؟ .

وفي نفس الوقت تكمن الهوية المواجهة الحقيقية بين الدول والقارات في المستقبل وخاصة في التطور في التعارض و الأختلاف في كيفية تأسيس (الإمبراطورية العالمية للهويات المتعددة في عالمنا اليوم) وذلك من أجل توفير مصالح الاستعمارية بالإستمرار وإيجاد ثورات في الفتن الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالإستمرار، أيضا من اجل الحصول المزيد من السلطة والسيادة والقيادة المدى البعيدة في استراتيجيات الدولية سواء كان في نظام الأوروبي أو في نظام الأمريكي كلا من الاتحاديين يسعان نفس الاتجاه في رسم سياسة الإمبريالية والرأسمالية كبيرة في العالم كله، وأيضاً زيادة في تطور في الأنظمة السياسية والثقافية والأيديولوجية الدينية وأيضاً في تطور الجوانب الاجتماعية والاقتصادية أكثر هوية وأكثر أنقسام وأكثر تنافس وتعاون في نفس الوقت، والمواجهة الحقيقية للهوية تكمن عندما تكون هناك تعدد في الهويات في الدولة الواحدة وفي نفس الوقت لديها خلافات والصراعات والنزاعات الدولية مع بين الدول الأخرى أو بين دولة أخري مثل ما هو حاصل الآن بتحديد في العراق العربية وعندما أزدادت ذروة المخاصمة بين الدولتين المتخاصمين أمام المسرح الدولي مما أدى إلي تشدد قوة الهوية في انقسامات أكثر وخاصة إذا كان وجود عدم رضى علي النظام السياسي القائم أي كلما زادت الخصومة من الدولة الواحدة إلي عدد دول كلما زدادت الهوية إلي أكثر تعدد

وأكثر انقساماً بين مجتمع الفرد الواحد في شعب الواحد، وهذا له تأثير علي نظام المجتمع من الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي القائم أولاً ثم علي السياسة الخارجية والدولية القائمة الآن ثانياً، وخاصة نحن الآن نعيش في ظل سياسات دولية جديدة ومفتوحة مع بعضها البعض في التعاملات وفي السياسات ... الخ مما له تأثير عميق علي الاستراتيجيات العسكرية والأنظمة القانونية والأجهزة والمؤسسات المختلفة القائمة في المجتمع وفي الدول الأخرى أيضاً وكذلك تحدد الملامح الرئيسية (للهوية في المستوي القارات في العالم القادم)، وهذا الأسلوب من الأنظمة النوع السياسي الواحد له تأثير بدرجة الأولي في تعامل الدولة مع أفراد الشعب ومع الدولة نفسها ومع الدول الأخرى، أي لابد من التوافق بين السياسيتين السياسة الداخلية المتعلقة بخدمات والمؤسسات الشعب والسياسة الخارجية المتعلقة بكيفية تعامل الدولة مع الدول الأخرى بالسياسات المتطورة ومواكبة مع العصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والقانوني...الخ في أي مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني،وعلي الدولة أن تعي تلك الأمور بعين الإعتبار بالعلم والثقافة والعقل والمعرفة والمنطق والحكمة في معالجة مثل هذه القضايا المهمة تمس الفرد وتمس المجتمع وتمس الدولة وتمس الدول الأخرى وتمس كافة الأنظمة والأجهزة وتمس القارات الدولية في المستقبل القادم لذلك لابد من مراعاة هذه المعضلات والأزمات الخطيرة والشديدة عل الإنسان والمجتمع والدولة والعالم الإنساني، ووضع لها حد في عدم زيادتها ووضع لها حد في المعالجات والحلول الموضوعية يقابلها العقل والمنطق وتكون مع السياسات الراهنة المتعددة بتعدد تلك الهويات المختلفة في دول المختلفة وفي القارات المختلفة وفي العالم الإنساني المختلف في نفس الوقت تكون مع هوية الحضارة التاريخية لكل مجتمع ودولة فى العالم.

لأن الهوية بقد ما تحدد لها من الانقسامات والإ وإنها لها علاقة بالمشاركة الفعالة بالإنسان الفرد من حيث الإنتماء والوجود والروابط الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية في الدولة الواحدة إلي الدولية يمكن أن نسميها (العلاقات الاجتماعية الدولية) وفقاً للدبلوماسية والمصالح والتوافق ... الخ.

ودور الذي تلعبه الهوية الدولية الآن في التواصل ليس في شخصية الإنسان نفسه بحكم العلاقات الاجتماعية الموجودة في الأسرة والقبيلة والطائفية فحسب وإنما الدور المتواصل حتي في التاريخ وفي الثقافة والعقل وفي إيديولوجية الهويات المختلفة يلعبه

المجتمع الواحد أو في المجتمعات الأخرى لان التاريخ مرتبط بالحضارة والهوية مرتبطة بالإنسان مباشراً ثم بالأسرة والمجتمع والدولة ولأنها تتحول بالتحولات في التطور في الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري والقانوني والتكنولوجي العلمي والمعلومات والثقافة المتعددة والدين المتعدد والعقل الإنساني المتعدد والتاريخ المتعدد والوجود الواحد المتعدد والشئ الواحد والمتعدد وهنا نقصد بجميع الأشياء المتعلقة بالإنسان والطبيعة والكون، والصيرورة الواحدة والمتعددة والواقع والظروف والمسلمات الحياة كافة الواحدة والمتعددة .

ثالثاً- التعريف الإجرائى للهوية الدولية في عصر العولمة :

الهوية هي أصل الشئ الواحد والمتعدد في نفس الوقت سواء كانت علي مستوي الفرد والمجتمع والدولة والدول والقارات والعالم والطبيعة الأشياء والكون في الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والثقافية والعسكرية ...الخ أى من شكل مجتمع الوطني إلي شكل المجتمع الدولي والقاري. في إطار أسس جديدة للأنا والذات وإناوات و الذوات الجديدة والعكس الصحيح في الوقت ذاته أذاً مفهوم الهوية الدولية في العالم المحظ والعالم الصرف والعالم المثير والاستجابة والسلوك والموضوع والمتوقع والواقع ...الخ واسع وشامل الأبعاد في التنوع والتعدد ليس في الهويات فقط وإنما حتى في الأنظمة المتعددة الحياتية الأخرى في هذا العصر (فالهوية هي دائماً يعاد تصنيعها أو يعاد تشكيلها في داخل الممارسات والعلاقات الموجودة والأفكار والواقع أن هناك رموزاً متكررة وأفكار متكررة اعتدنا استخدامها)[1].

وهذا يعطينا التحديد العلمي والمنهجي للمفهوم الهوية بشكل العام ومعانيها في إطار مضمون الموضوع أو محتوي الشكل العام لهذه الهوية من حيث من أين جاءت معانيها من حيث الممارسات القديمة والجديدة وكيف ارتبطت بالهويات المختلفة في عصر العولمة؟.

وتثير مسالة الهوية الدولية في مسائل الإقليمية والدولية والقارية بين الدول والقارات في العالم، وخاصة فيما يتعلق بمسألة الانتماء الوجودي والعربي والعرفي والعربي

1- هـ فريال حسن خليفة ،الايدولوجيا الهوية الثقافية الحداثة وحضور العالم الثالث.مكتبة مدبولي ،الطبعة الأولي، 2202، ص 269.

والوطني والدولي والشخصية القومية وربطها بالشخصية الدولية الذاتية، لأن لا نستطيع بأن نقول بإن الشخصية القومية سوف تختفي من الهوية، هذا بالطبع الكلام غير صحيح وغير صحيح وغير منطقي لان القومية في الأصل موجودة مثل الوطنية لذلك من الصعب أن تختفي، وحتى ولو كانت مختفية من وراء السياسات التطور في السياسة الدولية الثقافية الاجتماعية والاقتصادية لان السياسية القائمة الآن، تعتمد بين ذات العولمة وبين الأنا، وهوية القومية والوطنية من وراء هذه الذات.

وتنجم أزمة الهوية الدولية في مفهومها العام (عن حدوث تحول في الأسس الثقافية للهوية من الدين إلي القومية مثلاً أو التحول بالانتماء من إطار أو مركز معين إلي إطار أو مركز آخر أضيق أو أوسع)[1].

تتوقف الهوية هنا علي الدولية في إطار القيادة السياسية الدولية وفي إطار القيادة الإقليمية والقارية من كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية والعسكرية ... الخ، ويمكن أن نحدد هذا التوقف في أصل الهوية علي عناصر من أبرزها.

(أ) – ثقة أفراد المجتمع في تراثهم وحضارتهم وفي إمكانية أن يسهموا بأنفسهم في بناء حضارة وتحقيق إنجازات لا تقل عن حضارتهم ومجدهم السابق .

(ب) – اتساع وعمق المشاركة، فلا يظل الأفراد والجماعات، يمثلون جزء صغير منعزلة، وإنما تتكامل أنشطتهم في سبيل تحقيق الأهداف المشتركة التي ارتضوها .

(ج) – الفراغ الحتمي، وصراع القيم، أو حالة التمزق بين الماضي والحاضر فمعالجة أزمة الهوية رهن تخطئ هذه المظاهر وتجاوزها[2].

ومن ثمة أثيرت هذه المسألة ليس علي الصعيد الوطن وإنما حتى علي الصعيد الدولة الواحدة والدول الأخرى في المستوي الإقليمي والقاري والعالمي في المستقبل الجاري .والتغير الحاصل الآن يتغير بتغير طبيعة الهوية الواحدة والهويات المتعددة في طبيعة الأشياء التاريخية والجغرافية والثقافية والسياسية والأوضاع والظروف الإنسانية الراهنة المرتبطة بالعوامل الجغرافية السياسية والاقتصادية والاجتماعية...الخ، في كافة

---

1 – اكرم بدر الدين ،عبدالغفار رشاد، الرأي العام المصري وقضايا الدبمقراطية والهوية دراسة ميدانية استطلاعية ، الناشر مكتبة نهضة الشرق ،جامعة القاهرة ،1985م ص 40.

2 – نفس المرجع السابق ،ص 40،ص 41.

مناحي الحياة البشرية. بعد أن قمنا بتحديد العام لمفهوم الهوية في عصر العولمة يمكن لنا أن نحدد الهوية القومية وتأثيراتها علي التحديات الايجابية والسلبية في عصر العولمة كنموذج لسياسة العربية بصفة خاصة وسياسة المجتمعات والدول الأخرى بصفة عامة ، وذلك لتحديد المشكلات والأزمات والظواهر السائدة في الحروب وفي انقسامات الدولية بين الدول المتزايدة لتحديد أكثر الهويات المنقسمة بين الضد والدات وبين، من يكون ومن لا يكون وبين السلطة والحكم وبين القبيلة والقبائل وبين السيادة والسادة ... الخ.

كل هذه التحديات الخطيرة والدقيقة أتجاه الهوية بشكل الخاص والعام وبشكل المنفرد والدولي في قلب المشاكل الدولية المعولمة .

رابعاً- تطور الهوية القومية في عصر العولمة والولاء المنخفض:

الهوية القومية :

تعتبر بمعناها الواسع عبارة عن مشكلة التأييد المرتبطة بالجماعة السياسية ويقصد بالجماعة السياسة المجموع الكلي للأفراد الذين يعيشون في إطار نظام سياسي المجموع علي أساس الالتزام المشاركة الذي يقوم به الأفراد في إطار النظام السياسي أن يكون محكماً وقوياً، أو بسيطاً وضعيفاً ولا يشترط في أعضاء الجماعة السياسة أن يكونوا متجانسين عرقياً أو ثقافياً، طالما أنهم يوجدون ويشاركون في عملية سياسة مشتركة[1].

والدول التي تعني من مشكلة الهوية معظمها من الدول النامية علي وجه العموم والدول الأفريقية على وجه الخصوص فالعديد من الدول الأفريقية تأسست وقامت علي أسس جسدت إلي حد كبير وجود مشاكل تتعلق بتنوع العرقيات، وعدم رسم حدود سياسية تعكس الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وبروز هذه المشكلة لها علاقة بالانظمة السياسية في دول العالم كله وليس في الدول العربية والافريقية فقط بل بلغت هذه المعضلة مداها إلي الدولية والعالمية. ومن أبرز مشاكل الهوية وجود الأقليات والعرقيات المختلفة ذات اللغة والثقافة مختلفة وجود تعدد الإديان والطوائف وحركات انفصالية متعددة مثل حركة كورسيكا وبريتون في فرنسا، وإقليم الباسك في أسبانيا،

1 – مصطفى عبدالله خشيم ،موسوعة علم السياسة .دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ،الطبعة الأولي ،1425م ص 455.

ففي هذه الحالة نري أغلب الدول في العالم نراها تعاني من مشكلة الهوية وخاصة فيما يتعلق (بهوية الوحدة الوطنية)، حيث تري معظم الدول تلجأ إلي وسائل قانونية واجتماعية وتشريعية لقواعد السلم وذلك لحفاظ علي كيان الوطنية وكيان القومية وكيان المجتمع اجتماعياً وسياسياً وحفاظها من التفكك العرقي والقومي والديني والثقافي والطائفي تحقيق المصالحة الوطنية بشكل دائم نوعاً ما وحتى لا تحصل انقسامات وفوضي في الدولة الواحدة ويمكن حل هذه الأزمة للهوية اللجوء إلي القيادات السياسية ذات علاقة بالحب والوطن والوطنية ولها قدرة علي التأثير والمشاعر والإحساس بمدي أهمية الوطنية للمواطن في كافة الجوانب وذلك لتفادي مشكلة الهوية القومية، وتفادي في تعدد الحكام في نظام الدولة الواحدة أي بمعني اللجوء إلي نظام سياسي ديمقراطي شعبي أكثر هوية للشعب واستخدام لوسائل الإثبات الهوية للمواطن من خلال الحماية والاحتكام في المشاعر حتى نستطيع التحقق الشامل في (الهوية الشعبية) في الحكم أكثر من هوية الحاكم الواحد، وخاصة إذا كان مستبد وطاغي، ومثال علي انقسامات العرقية للهوية مثل ما حصل فى جمهورية الاتحاد السوفيتي وجمهورية يوغسلافيا سابقاً .

وبهذا نري بان الوطنية تعبر عن كيان وجداني وعاطفي وروحي للإنسان ومدي أرتباطه بسياسته الاجتماعية بالمشاعر الوطن وهذه النتائج المهمة للإنسان للحفاظ علي الهوية الوطنية من أي اضطرابات وخلل والفوضى والبراجمانية اللاعقلانية القائمة علي الأشياء في التناقص بين الهوية الاجتماعية والهوية السياسية أى بين الفلسفة الذرائعية والفكرة المطروحة لإيديولوجية الهوية.

ولكن هوية القومية في هذا العصر نراها تكاد أن تكون بدون أحساس ومشاعر من أطراف الأمة الواحدة سواء في الدماء والعصبية والولاء السياسي والاجتماعي والتاريخي والاقتصادي والعسكري والقانوني والثقافي ... الخ لأن يرجع ذلك إلي المعطيات التناقض في السياسات العربية سواء كان علي مستوي الدولة الواحدة من أفراد وجماعات ومجتمعات ودول وقارات وعلي مستوي التناقض العربي الموجود أو علي المستوي الدولي الراهن وهذا يعد السبب الرئيسي في تعدد الهويات وفي أكثر انقسامات الموجودة الآن في عالمنا العربي والعالم بسياسة القوة والحرب وسياسة الهيمنة سواء كانت من طرف القطب الأحادي أو من أطراف العملاء سياسة الدول الأخرى والمتبعة في إطار التبعية السياسية والاقتصادية في مختلف الأنظمة والأجهزة ويعطي يؤثر تأثير كبير

علي الولاء العربي الموحد بصفة خاصة والولاء الدول في العالم بصفة عامة مما جعل ذلك إلي انخفاض نسبة الولاء إلي انخفاض مع نسبة القومية والوطنية والدولية والعالمية.

أي كلما زاد التبعية السياسية والاقتصادية تنخفض الولاءات المتنوعة إلي ولاءات القوة السياسية ويمكن أن نوضح ذلك بمثلث العلمي لتحديد مستوي الزيادة والانخفاض بين الأضلاع الثلاث (أ ، ب ،ح) في الرسم الهندسي الاجتماعي التحليلي التالي :

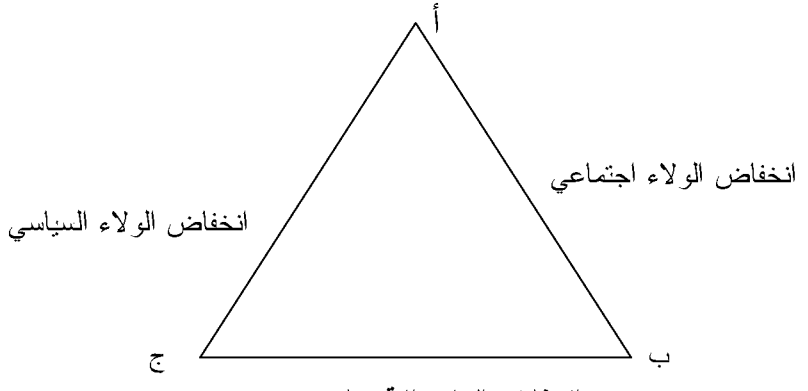

شكل (1)

وهذه المستويات الثلاث تحدد العلاقة بين الهوية القومية في عصر العولمة ومستوي الانخفاضات بين الولاءات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وزيادة في نسبة التبعية في السياسات والاقتصاديات في مختلف الأنظمة السائدة في العالم ولكن بالأخص النظام لعربي وذلك إذا كانت زيادة نسبة الانخفاض بين الأضلاع الثلاث ترادفها ونسبة الزيادة في التبعية في كافة المجالات والتخصصات وليس في التبعية الاقتصادية والسياسة والثقافية فحسب وأنما التبعية أيضاً في التنمية والتطور والتغير وبما أن المعضلات السائدة في هذه المجتمعات وخاصة في الجانب القومي والوطني إلا إنها مازالت تحددها المعطيات التاريخية والمصرية الإنتمائية والوحدوية، مهما كانت حذة الانخفاضات والتناقضات في الولاءات العربية والدولية والعالمية .

خامساً- تطور مفهوم الدولية في عصر العولمة ومدى تأثيرها علي الدول فى العالم :

الدولية كمصطلح متعددة الجوانب لأن الدولية ذات نطاق واسع بالعالم الإنساني لإنها دخلت في كافة التخصصات وأبرزها السياسة الدولية والسياسة الخارجية

والسياسة الجغرافية والعلاقات الدولية والاقتصادية الدولية والقانون الدولي والدبلوماسية الدولية والمنظمات الإقليمية والدولية والإستراتيجية الدولية والعسكرية الدولية فيما يتعلق خاصة بالأسلحة النووية والهيدروجينية أي أنواع أسلحة الدمار الشامل والقانونية الدولية فيما ويتعلق خاصة بالشئوون الحرب والسلم في العالم ولذلك نري بان الدولية كمفهوم واسع لأن له علاقة بالمشكلات الدولية المختلفة والإيديولوجية الدولية المتعلقة بالنظريات المختلفة العلمية والأكاديمية والمنهجية للمفكرين والكتاب والفلاسفة وأيضاً دولية النظام العالمي الجديد في السيادة الدولية والسلطة والقيادة الدولية والإرهاب والعنف والضغط الدولي ... إلخ.

وتعبر الدولية عن فلسفتها الخاصة كمصطلح في حد ذاته والدولية جاءت في الأصل من الدولة واحدة تم تطورت إلي مجموعة دول ومن مجموعة دول أصبح لها الصفة الدولية تحملها بمعني السياسي و القانوني حتى علي المستوي القارات في العالم سوف تحمل اسم صفة (الدولية القارية) في المستقبل وجاءت مصطلح الدولية في الأصل من الدولة والدولة لها دور تلعبه في المجتمع فيما يتعلق بالتنظيم السياسي والدولة، بدون إقليم والشعب والقيادة السياسية ليس لها أهمية لان من مقومات الدولة الرئيسية هي الأركان والقواعد الرئيسية التي تنطلق منها الدولة نفسها والحكومة والسلطة والسيادة وعندما وضع الحجر الأساسي للدولة بدأت الأنظمة والأجهزة والمؤسسات والخدمات تظهر لكي تؤدي دورها في التنظيم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقانوني والعسكري والثقافي .. الخ وربطها للإفراد والجماعات والمجتمعات والدول والقارات والفضاءات ومن خلال هذا التحليل جاءت مفهوم الدولية في عصر العولمة من مجموعة دول وقد تكون لكل دول العالم وهنا نستطيع أن نربط مفهوم الدولية بالعالمية في كافة أنظمة الموجودة في العالم واختلفت في نفس الوقت في أنظمتها، حيث نري في الرأسمالية نظامها السياسي يعتمد علي الاقتصاد السياسي المحظ وبينما في الماركسية السياسي مبني علي الاقتصاد الاجتماعي، وفي النظرية الجماهيرية نظامها السياسي قائم علي الثلاث جوانب السياسة والاقتصاد والاجتماع .

اذن الدولة تعني لكل الشعب والدول تعني لكل الشعوب والدولية تعني مجموعة الدول أو كل الدول أو مجموعة الشعب أو كل الشعوب، ومما شك فيه نري بأن الدول والشعوب ذات صلة وثيقة بالمفهوم الدولية في عصر العولمة وكيف تطورت ونشأت

بمراحل من التاريخ والنظريات المتعاقبة علي ذلك والمختلفة في المفاهيم ؟ والدولية في نشأتها تتزامن في تطور زمن الدولتية في العالم.

سادساً- المرجعية التاريخية للهوية في الحضارات القديمة :

والهوية كمبدأ في قاموس المعجم الفلسفي من الناحية التاريخية نستطيع أن نحددها بأن (الوجود هو ذاته، أو هو ما هو، ويعبر عنه رياضياً بالمعادلة:

أ = أ، ومنطقياً أ ٭ أ [1]

وهذه تعتبر كفكرة الأولي للهوية أى بين هوية الوجود وهوية الذات عند أي مخلوق من مخلوقات الدنيا سواء كان عند الإنسان والحيوان والنبات والطبيعة والكون.

وترجع أصل الهوية كاسم في حد ذاته إلي (ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وهوية الشئ وعينيته ووحدته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد كل واحد (الفارابي تعليقات)، وقيل إن الأمر المتعقل من حيث أنه مقول في جواب ما هو يسمي ماهية ومن حيث ثبوته في الخارج يسمي حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمي هوية .وهوية الحق تعالي عينه الذي لا يمكن ظهوره، ولكن باعتبار جملة الأسماء والصفات فكأنها إشارة إلي باطن الواحدية)[2] .

والمعني الأصلي لتاريخ الهوية في حقيقة تشمل معنيين وهما الذات والوجود وكليهما مرتبطان بالعالم الإنساني والكوني وبالعالم الخارجي فيما فيها الأرض والسماء وما يوجد بهما من الأشياء وعبارات شكلية وجوهرية ومثالية وثابتة وماتمتلكه من جمال طبيعي.

وأن هوية الحضارة في عصر القديم قائمة علي أساسيات بديهية وبدائية متعلقة بالحياة البشر والتاريخ ، وخاصة التطورات عند الإنسان ما قبل التاريخ وكيف عرفت هويته كانسان يعقل ويتعقل وينقل ويتنقل من مكان إلي مكان آخر وخاصة الإنسان في أفريقيا واندونيسيا والصين وآسيا بعد ذلك وصل إلي أوروبا للعيش والاستقرار، والصيد والزراعة في ذلك الوقت من مرحلة هذا التاريخ، أمريكا لم تكن موجود ولم تكتشف ومازالت خالية من الإنسان والسكان والبشرية سواء السكان الاصليين الهنود الحمر، يمكن أن نسمي هذه المرحلة (بداية تطور هوية عند الإنسان أتجاه العالم).

---

1 – عبدالمنعم الحنفي ،المعجم الفلسفي .القاهرة :دار الشرقية لنشر والتوزيع ،الطبعة الأولي ،1990م ،ص 301.

2 – نفس المرجع السابق ،ص 369، ص 370.

ومعرفته للحواس والإدراك للوجود والمحيط والبيئة والمجتمع البدائي البسيط كيف تطور تدريجياً بمراحل من هذا التاريخ الطويل، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال الحضارات القديمة في مجتمعات مختلفة وخاصة الشرقية في فترات التالية :

1- هوية حضارة ما بين النهرين القديمة (الرافدين) :

تعتبر هوية هذه الحضارة قديمة جداً، وعرفت بلاد مابين النهرين لأن موجودة بين النهرين الدجلة والفرات التي تعرف بالعراق وسوريا حالياً هي منطقة خصبة في الأرض والعقل والحضارة والثقافة والمعرفة حيث أحتل، أصل الساميون مكانةً كبيرة في هذه البلاد منذ سنة (**2800** ق. م) وخاصة في تأسيس إمبراطوريات وقام ببناء المدن وبهذا أصبحت كل مدينة نظام خاص بها من حيث القوانين والحياة الاجتماعية، بعد ذلك تطورت هذه المدن إلي دول متنوعة، وبعد ذلك أختفت إمبراطورية الأكادية التي لعبت دور في بناء إمبراطوريات ضخمة لتحقيق الهوية الأولي بين الإنسان الفرد والدولة أو بين الحاكم والمحكوم أو بين الشعب وسياسة الدولة القديمة وكيف تطورت إلي الدولة الحديثة؟ وبالرغم هذا التطور البسيط، جاءت الفارسية (الفرس) التي تقوم تعريف دولة إيران الإسلامية حالياً أحتلوا بلاد ما بين النهرين بالقوة والغزاة واختفت فيها الإمبراطوريات الحاكمة في سنة (**539** ق. م)، ولكن قاومت هذا البلاد الغزاة الاستعمار الفارسي بالقوة حصلت علي استقلالها ومن ثمة استمرت هذه الحضارة علي نهج الحضارة السومرية خاصة في الكتابة والتجارة (هوية الكتابة المسمارية) وعند سيطرت الفاتحون علي هذه المنطقة التاريخية والحضارة نحو سنة (**1792** ق. م) (وحقق ملك حمورابي أول وحدة في المنطقة، وأقام عاصمته في بابل، شرق بلاد مابين النهرين . فكانت أول إمبراطورية بابلية)[1].

وأشتهر حمورابي بقوانينه الشريعة أتجاه نظام المجتمع حيث كتبها وطبقها الإمبراطورية البابلية وتعرف بقانون حمورابي ومازالت سارية المفعول حتى الآن في هذا التاريخ المعاصر والمعولم .

ووضع بصمات قانونية وتشريعية وتنفيذية واضحة اتجاه الفرد الإنسان والمجتمع ونظام الأساسي للدولة الحاكمة، وذلك لتنظيم الشؤون الحياتية والشخصية في التشريع

1- فريد أنطونيوس شبابنا موسوعة لاروس تاريخ العالم.بيروت عويدات للنشر والطباعة، الطبعة الأولي،2001ف ص 10.

الوطني، وفي سيادة المدن المستقلة ولكن بموت الإمبراطورية حمورابي (الملك) ضعفت شوكت الإمبراطورية البابلية في سنة (1595 ق. م)، وتعرضت للاحتلال من قبل غزاة الحيثيون فقسمت هذه البلاد من الجديد إلي دول متعددة وشكلت إمبراطوريات من جديد ومن أبرزها الإمبراطورية الأشورية، وأهل أشور في الأصل موجودة في بلاد مابين النهرين نفسها، حيث أحتلوا بابل في القرن الرابع عشر ق. م وأسسوا إمبراطورية تاريخية باسمهم في شمال البلاد، ولكن سرعان ما ذابت وأنهت سياستها الإمبراطورية علي البلاد بسبب مقاومة البابليون ضد الآشوريون ومدي تحققها للإنتصار المقاومة ضد أشور وبعد ذلك تأسست مرة ثانية إمبراطورية بابل وعادت بقوة كعاصمة للبلاد، وذلك بعد محاربة والتخلص النهائي من الإمبراطور الآشور ودولته القائمة، وكتبت لبابل المعلقة بحدائقها الازدهار والتقدم والتطور ليس للبلاد ما بين النهرين فحسب بل في المنطقة بأكملها مرة أخري ... الخ.

2- **هوية الحضارة المصرية القديمة (الفرعونية) :**

تتمتع مصر القديمة بحضارة عريقة جداً ويرجع ذلك بسبب خصوبة نهر النيل الحيوي الممدد بفروعه حتى السودان وامتدت هذه الحضارة مع امتداد حكم فرعون وسلطانه وجبروته وكان ذلك بحوالي نحو ثلاثة الآلف سنة لان كان يدير شؤون البلاد بمساعدة الكهنة ولكن عندما اكتشفت الكتابة في هذه الحضارة بالحروف الهيروغليفية بدأ فرعون يستعين بالكتابة وذلك لمساعدته في إدارة البلاد لان كانت الكتابة هي السائدة في تلك الوقت ولان كانت الثقافة الاجتماعية ذات الطابع الديني، وخاصة فيما تركته هذه الحضارة من آثار كالمعابد والأهرامات ومراكب الشمس والدور الذي لعبته عند تزعم الحركة الفكرية وعرفوا بأن وجود هناك علاقات ثقافية واجتماعية تربط بين أفراد المجتمع وأن الفرد لا يحق له أن يعمل لصالحه بل للآخرين أيضاً.

ونتيجة لهذه العوامل ساعدت علي قيام هوية الدولة وازدهارها واستقرارها من الناحية الاقتصادية والسياسة وذلك عندما ظهر تنظيم الضرائب للدولة ونظام الملكية، وهذا ساعد علي التنظيم السياسي للمجتمع قبل أن تعرفه غيرهم من الأمم والشعوب، وأيضاً علي الوزارة وعلى تقسيم البلاد إلي أقاليم، وهنا برزت سياسات أخري في المجتمع المصري القديم سواء في السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية للدولة، وبدأت فيها الحياة الاقتصادية كمركز رئيسي للتجارة والزراعة، والنظام القانوني كمركز

رئيسي لنظم القضاء والإدارة المركزية وبين القوانين والشرائع، وظهور الجيش كمركز لحفاظ علي الإمبراطورية المصرية القديمة من الجانب العسكري والحربي.

ومن الاستقرار السابق نستطيع بان نحدد بدقة ملامح الهوية المصرية من حيث التطور والحضارة والتاريخ مع ملامح العوامل الطبيعة والجغرافية والتكنولوجية والسياسية والعسكرية والاجتماعية، وأوضح هذا الأمر بعد أنقسام المجتمع المصري إلي قسمين، قسم رجال البلاط ورجال الذين والكهنة وطبقة عامة الشعب.

ولكن نتيجة لهذا التطور في هوية حضارة مصر الفرعونية القديمة إلا إن لم تلبث طويلاً في الازدهار إلا أن في سنة (**30** ق. م) ذلك تعرضت البلاد المصرية إلي الاحتلال من قبل الاستعمار الروماني وأصبحت مغلوبة علي أمرها بسبب هذا الاستيلاء وأصبحت الثقافة وهوية المجتمع المصري الموجود مع وجود الإنسان بسبب الظروف السيئة التي سادت مصر الفرعونية.

ولا ننسى أيضاً بأنها لعبت دوراً كبيراً في علاج أمراض العيون والأسنان والتحنيط الحيوانات مع ظهور السحر المختلف الأنواع .

3- **هوية الحضارة الإغريقية القديمة (اليونانية) :**

كانت بداية هذه الهوية مع انتشار اليونان في جزيرة من جزر بحر إيجة وظهرت هذه الحضارة نحو (**2000** سنة ق. م) وذلك قبل ظهور المسيحية ويرجع نمو هذه الحضارة عند ظهور النظام الديمقراطي (مفهوم الديمقراطية) **Demes Knatos** (حكم الشعب) في النظام السياسي لان كان هذا النظام طبقياً فيه أحرار وعبيد وينقسم طبقة النبلاء والأشراف وعامة الشعب، وأيضاً لأن المدن اليونانية كانت منقسمة إلي الدويلات وكانت كل مدينة لها سياستها العامة وفلسفة خاصة لنظامها الاجتماعي والسياسي ومن أبرزها هذه المدن اسبرطة حيث كان الشعب في هذه المدينة ينقسم إلي قسمين أقلية حاكمة وأقلية محكومة وأيضاً مدينة أثينا فيها يقسم الشعب إلي قسمين قسم له الحق وقسم ليس له الحق إلا إذا كان له عمل للآخرين ويكون هنا في هذا القسم العبيد أو العمال (اليبروليتاريا).

وسبب الظروف الطبيعية والجغرافية السائدة في المجتمع الإغريقي القديم جعلتهم يتعلمون فنون القتال والحرب وسيلة لكسب الرزق واحتراف القرصنة لان عاشوا علي صفوف جبلية سيئة الظروف ولان طبقة النبلاء كانوا يملكون الأراضي الزراعية

ويملكون كل شئ حتي الحياة الاجتماعية والسياسية والقانونية والعسكرية. أما بالنسبة لحياة الاقتصادية كانت بالنسبة للفقراء في تقشف وقحط ذلك بسبب قلة الإنتاج والزراعة والظروف البيئية السيئة، أما بالنسبة للأغنياء كانت ظروفهم ميسرة ويملكون كل العوامل الاقتصادية بما فيها الأراضي الزراعية وأيضاً كانوا يعتمدون علي المفكرين والعلماء والفلاسفة في حل قضايا المجتمع والتنظيم السياسي من أبرزهم سقراط الذي قد وضع المنهج التجريبي لحل المشاكل الاجتماعية المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية بطريقة علمية ومنهجية لحل مشكلات وفقاً للنظريات السائدة في هذا المجتمع، ويعتبر أفلاطون أول فيلسوف درس الفكر السياسي بطريقة منظمة وقد ضمن كل أرائه ونظرياته حول نظام الجمهوري اليوناني القديم ومن أبرز هذه النظريات (جمهورية أفلاطون المثالية) التي كانت تتم بالطابع الفلسفي وفي بعض جوانبها، وأيضاً كانت تعتمد هذه الحضارة علي هوية الوجود والكون والطبيعة والفلسفة وأثرها في حل القضايا والأفكار الواردة لدراسة الظواهر ودراسة المجتمع ودراسة الدولة.

ومن الأسس الذي أسسها أرسطو المنهج الاستقرائي وذلك حين درس الفكر السياسي ودساتير الحكم لحل الظواهر السياسية وأعتبر الإنسان حيوان سياسي وخاصة بين طبقة الحاكمة وطبقة المحكومة.

ففي القرن التاسع ق . م كانت الهيئة الحاكمة هي المسيطرة علي القانون البلاد وتضع قوانين ونظم وفق مصالحها الخاصة عن طريق المصالح العامة المميزة عن عامة الشعب وخاصة العمال وذلك من أجل أستمرار وفقاً لذلك المعاناة التي عاناه الشعب الإغريقي خاصة فيما يتعلق بقانون الديون الذي بمقتضاه كان الفلاحون يقترضون من الأغنياء مما يحتاجونه من مال بأرباح مما يؤدي إلي عدم قدرة الناس علي السداد ولا يملك أرضاً فانه يصبح عبداً لدائنه من حقه بيعه أبنائه ونسائه لذلك كان الفلاحون أحراراً في الإقراض في القانون، ولكن مع فترة من هذا التطور القانوني في هذه الحضارة فقد قدم الحكام بإصدار قرار بتحرير الشعب من الأحكام التي توقع عليهم نتيجة الديون.

وعليه أصبحت اليونان مركز لحل قضايا السياسية والقانونية والاجتماعية والثقافية خاصة فيما يتعلق بالعدالة والمساواة والحق والديمقراطية، والحرية حيث يتم مناقشتها في

مجلس الشعب من قبل العلماء والكتاب والفلاسفة وأصحاب السلطة المسئولين علي المدن المختلفة في اليونان القديم.

4- هوية الحضارة الرومانية القديمة :

استمرت هذه الإمبراطورية في تاريخ الحضارة القديمة لان كانت مدينة روما أكبر دول العصر القديم، حيث أنها ولدت في القرن الثامن (ق. م) من مجموعة مدن وكل مدينة لها نظامها الاجتماعي ولكن النظام السياسي السائد كان النظام الجمهوري، حيث يجتمعوا فيها الطبقة العليا البرجوازية من المجتمع في كل سنة ينتخبون ممثلين للرئاسة وسير النظام في الدولة لأن المجتمع منقسم إلي قسمين طبقة الأشراف التي تتمتع بكل شئ وطبقة العامة المحرومين من كل شئ لان الأشراف هم الذين يملكون الأراضي الزراعية التي يستخدمون فيها العبيد لأن كانوا يخضعون لإرادتهم، وكذلك العامة من الشعب الفقير.

وبسبب هذا التناقض بين الطبقة النبلاء المالكة والطبقة الشعب أدي إلي الصراع المستمر بين هذين الطبقتين خاصة في الأمور المتعلقة بالنظام الاجتماعي والتفرقة والعنصرية، والزواج و الوظيفة، خاصة إن العامة كانت تقدم روحها ودماءها من أجل الدولة أثناء الحروب والاحتلال، مما شجع هذا علي المطالبة بالمساواة والحق والعدالة وأعلنوا الثورة علي قانون الدين وتدوين القوانين، حتى لا تصدر أحكام علي الهوى، بهذا صدرت الدولة مجموعة من الأحكام التي ردت عن المواطنين بخصوص حقوقهم وخاصة في توفير الوظائف العامة للشعب التابعة للدولة، وسمحت لهم بالعمل في العديد من الإدارات المتعددة الوظائف، وأستمر المجتمع الروماني، البحث عن أحكام متمشية مع الواقع المجتمعي.

وبعد ما حققت العامة برنامجها الاقتصادي والاجتماعي مع طبقة الأشراف، أستطاعت بأن تولي مناصب قيادية وقنصلية ودبلوماسية وذلك من أجل دعم السياسة ونظامها الأيدلوجي وخاصة وجود هناك انتخابات من قبل العائلات الرومانية الكبيرة والغنية في روما لتدعيم أعضاء مجلس الشيوخ لقيام بالمهام الجمهورية ولاستمرار الحياة السياسية في كافة مدن الرومانية.

وبالرغم من هذا الصراع الناتج بين الطبقتين أي بين الأشراف والعامة إلا وأن كانت الدولة تقدم الخدمات والمؤسسات للشعب ليس بدافع إنساني وشعوراً بالمسؤولية

الآخرين وخاصة للفئات المحرومة من ثروة المجتمع وإنما كانت الدولة خائفة من الجماعات الفقير من عامة الشعب وتعتبرها مصدر حظراً علي المجتمع من حيث الغضب والتمرد والثوران وخوفاً من أحداث ثورة اجتماعية ضد نظام الموجود في المجتمع السياسي.

واتسمت هذه الحضارة في هويتها بالمادية الوثنية وطبيعة قاسية ورقعة الأرض ضيقة وبسبب العوامل الجغرافية، وسيطرت الأشراف علي كافة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والعسكرية في المجتمع الروماني، وهنا يعتبر المجتمع مثل الدولة الإغريقية من حيث السلطة والسلطان وتكوين المجتمع، وفي سيطرة الملوك علي السهول والسيول والتلال والأراضي الزراعية، والتحكم في مصائر أمور الشعب المختلف في طبقات الاجتماعية.

ولا ننسي بإن الفكر الاجتماع السياسي في هذه الحضارة ساهمت في دراسة الشعوب البدائية من حيث العادات والتقاليد لدمجها مع النظام المرتقب في المجتمع وفي حل المشاكل، وخاصة عندما كتب شيشرون العديد من الكتابات لمعالجة المجتمع سياسياً، ولها أثر كبير في ظهور الكثير من النظم التي تحدد شكل العلاقات الاجتماعية بين الفرد والدولة وبين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية، وتنوعت الثقافات الاجتماعية في المجتمع وتنوعت الهويات في هذه الحضارة التاريخية والقديمة.

سابعاً- تطور إيديولوجية الهوية العقلية في عصر العولمة عند الإنسان وعند طبيعة الحياة في العالم :

ففي خضم الانقسامات المتعددة الراهنة في هذا العصر أدت إلي زيادة في تعدد لهويات الأصلية والفرعية سواء كانت بين القبائل أو الطوائف أو بين الأديان المذاهب المختلفة أو بين الأمم والشعوب والدول والقارات في عالمنا هذا لإن جوهر المسالة موجودة في الماضي ولكنها تطورت وجودها أكثر بفعل التقدم والتطور وظهور ظاهرة العولمة الجديدة في الحاضر، وأيضاً بفعل تطور في التقنية وتكنولوجيا والعلوم الحربية والخطط العسكرية التكتيكية أدي إلي وجود أكثر فتن وثورات سواء كان علي مستوي الوطن العربي أي الأمة العربية نفسها أو علي مستوي الدولي من قبل القوة المهيمنة الإمبريالية الليبرالية أو علي مستوي الاتحادات العالمية القارية والفضائية لأن الانقسام

موجود في الأصل منذ خلق الاستعمار ورسم حدود الدويلات والحدود والأقاليم بين الدول العالم عن طريق الخرائط الجغرافية المختلفة سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو الثقافية ... الخ فهي موجودة في الأصل ولكن بفعل هذه الانقسام أدي العالم في كوكبه التوحد وفي كوكبه الاندماج والتكامل وفي كوكبه الدولية والعالمية بين الدول في العالم وبين القارات الاتحادية في العالم (الفضاءات).

ومن هنا شعر العالم بحاجة إلي البحث عن التطور الإيديولوجي للعقلية المندمجة والمتناهية مع الهوية في إطار الإيديولوجية العقل الإنساني المحظ وفي إطار تطور العقل العالمي المحظ، ولكن نتيجة لتلك السياسات الإستراتيجية الظالمة من قبل القوة الرأسمالية العالمية الراهنة أدي إلي وجود حتمية النقد العقلي في أربعة مراحل منقسمة وهي :

أ – المرحلة الأولي توازن في العقل الإنساني .

ب – المرحلة الثانية في اللاتوازن في العقل الإنساني .

ت – المرحلة الثالثة في توازن العقل في العالم .

ث – المرحلة الرابعة في اللاتوازن العقل العالم .

وهذه المراحل المنقسمة ساعدت العالم الإنساني علي وجود تناقص بين السياسات في الدول وتناقص بين الهويات العربية والإقليمية والدولية القارية والفضائية والعالمية.

لأن فلسفة الهوية نابعة في الأصل من شخصية الإنسان وعقله ومن ذايتية الإنسان في مرحلة الأنا العقلية أي بين الأنا والذات وبين الأنا العليا والأنا السفلي وذلك من أجل الوصول إلي الحقيقة العلمية في البحث عن أصل الإنسان وعن هويته وليس في إطار الشخصيته أو الذاتية، وإنما حتى في الإطار الوجود الذاتية والشخصية الدولية والعالمية والقارية، لأن التوازن في عصر العولمة حول الهوية تتم بين ذاتية الإنسان وبين ذاتية العالم، سواء كان العالم الدولي أو العالم القاري .

وبما أن العالم بين فصلين الأمامي والخلفي في العقلية والبشرية، فانه يحتاج دائماً إلي السياسة العقلية والاقتصاد العقلي والاجتماع العقلي والتكنولوجية العقلية والي القانون العقلي سواء كانت عقلية الحكمة وعقلية تمور لأن العقلية موجودة منذ وجود الإنسان ووجود العالم، ولكن أزدادت ظهورها مع وجود العولمة بالعقلية الدبلوماسية والعسكرية والدليل علي ذلك عند ارتبطت العقلية بالعقل والعقلانية في مختلف الأنظمة الموجودة في مختلف الأجهزة والمؤسسات سواء كانت في مجال السياسي والقانوني والاجتماعي

والاقتصادي...الخ وأرتبطت وجودها مع وجود الأديان السماوية الثلاث الديانة اليهودية والديانة المسيحية والدين الإسلامي.

وهذا ما جعل البابا شنودة يعطى للعقل دوراً مهماً في الكنيسة بدلاً من الدين حيث (وضع الإنسان مكان الله بإعلاء شأنه كمفهوم وكوجود ككائن متفوق بالعقل والحكمة أي تألية العقل ، ونفي كل ما يحد من عمله أو يقيده والإنطلاق من قوانينه، وأحكامه لبناء الدولة، والثقافة والحضارة أي تجاوز الدين وما بني عليه إلي الإنسان كعقل)[1].

وهوية العقل نابعة من عضوية مخ الإنسان في وظيفة المخيخ وكيفية تتحرك العروق العصبية في مرحلة التخزين والتذكير والتفكير، وأن العقل الأساس النموذجي في الغريزة الأنانية الطبيعية والعقلانية والعقلنة وامتداد للحواس المس العين عند البصر والتبصير والأنف عن الشم والرائحة والفم عند التذوق والاعاب والأذن عند السمع والخلية العقلية عند التفكير والتذكير يمكن لنا أن نضيف لهذه للحواس الخمس غريزة الفكر (الإحساس العقلي عند الإنسان) امتداداً للشعور الوجداني وعضوية القلب سواء كانت مابين البطين الأيمن والبطين الأيسر والأذين الأيمن والأذين الأيسر في تحديد الهوية العقلية النابعة من فسيولوجية القلب عند الإنسان ولكن بشرط أن يكون مرتبط بالتفكير الطبيعي والتفكير الطبي عند التشريح وعند أمراض القلب يختلف أنواعها من الشرايين الناجية والرئوية والثقوب والتشوهات ... الخ مهما كانت حدة هذه الأمراض فهي نابعة من هوية العقل الإنساني من حيث الإحساس والشعور والآلام فهي الرابطة عند الوجود وعند التفكير وعند الذات والشخصية عند الإنسان، وخاصة شخصية الإنساني في العالم في هذا العصر ما يعرف بعصر العولمة لان الامتداد الأصلي للخلايا الدموية بين الصعود والنزول الشرايين العقلية وبين الخلية العصبية والخلية الذهنية عند المخ والمخيخ والجمجمة والدماغ ... الخ كلها في أصل هوية الإنسان العقلية.

وأما العقلية عند العالم الفلسفي هرتمن (نقولاي) تمثل (أعلي درجات وجود الحقيقي الواقعي ومادام كذلك فهو لا ينحصر في عالم الوعي (الشعور). ذلك لأن أحداث الشعور مرتبطة دائماً بإفراد، بينما المضمونات الروحية (العقلية) ليست كذلك)[1]. لأنها

---

1 – محمد سعيد طالب، الدولة الحديثة والبحث عن الهوية .عمان:دار الشروق، الطبعة الأولي، 1999م، ص 175.

1 – عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة،جـ2، بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولي، 1984، ص 531.

مرتبطة بين الشعور واللاشعور بين العقلانية واللاعقلانية في النظرية الروحية الواحدة عند عمق الخلايا العقلية في الأصل والجوهر.

ففي هذا التحليل نري بأن العقلية لها هويتها الخاصة بها من الناحية الفكرية والواقعية والروحية والواجدنية والحسية والتجريبية (أمبيريقية) هنا ليس بمعني الدراسات الميدانية أو التطبيقية وإنما بمعني التجربة في العقل وهويته الموجوده عند الإنسانية وعند الإيديولوجية والواقعية، ولأن التحليل العقلي (للميتافيزيقيا) في الأصل أرتبطت، بالوجود والمعرفة والفلسفة والطبيعة والكون، في التفكير الأعلى اللأنا وفي بداية التفكير عن الهوية العقلية وارتباطها بعلم ميتافيزيقيا (ما وراء الطبيعة).

وهذه الانفعالات الميثيولوجية (حكايات العلمية الطبيعة) للواقع، فدخلت في انفعالات العقلية مع انفعالات إيديولوجية العولمة علي مستوي الفردي، الجماعي والمجتمعي والقطري والدولة الواحدة ومجموعة الدول وعلي مستوي الإقليمي والقاري إلي أن تطورت (مصادرات العقل العلمي)[1] إلي العقل العلمي في هذا العصر، ومما أعطي هذا تأثير كبير علي انطولوجيات والاستراتيجيات والسياسات ... الخ في البحث العلمي الأكاديمي.

وفي النظريات العقلية المتطورة والمتغيرة في أتجاه المطلق والنسبي في الفلسفة المختلفة في الفلسفة الوجودية والفلسفة الوضعية ومدي علاقتهما بالعقل العالمي الآن حيث أتجهت في أتجاه المتغيرات والتداعيات الجديدة في ظل عالم جديد (عولمة جديدة) مع الإنسان ومع العقل ومع الواقع ومع المتوقع ... الخ.

أما بالنسبة حقيقة العقل عند الأسكندر (الأفرادبسي) عند ترجمتها إلي العربية، حدتث صدي كبير في عصر الإسلامي عند الفلاسفة المسلمين، حيث يري أن العقل ينقسم إلي ثلاثة أنواع :

أ – العقل الهيولاني (الهيولانية).

ب – العقل المستفاد (العقل الملكة).

ج – العقل الفعال (العقل يتسم بالقوة)[2].

---

1 – نفس المرجع السابق ،ص 447.

2 – نفس المرجع السابق ،ص 308.

أما العقل عند الفارابي يتمثل (في بيان قوة معان العقل) حيث يقول (اسم العقل يقال علي أشياء كثيرة وهي الأتي :

الأول العقل العاقل والثاني العقل يرد عليه المتكلمون علي ألسنتهم والثالث العقل الذي يذكره أرسطو طاليس في كتاب (البرهان) العقل البرهان والرابع العقل في كتاب الأخلاق (العقل والأخلاق) والخامس العقل في كتاب النفس (العقل والنفس) السادس العقل الذي يذكره في كتاب (ما بعد الطبيعة) الميتافيزيقيا)[1]. وبالنسبة للتصورات العقلية في مذهب الهوية المطلقة عند شلنج، حيث يري، (الأشياء تصدر عن المعرفة مثالية نقد تقررت المثالية المطلقة بالخصوص هوية المطلقة عن شئ واحد وأن العقل ينظم كل شئ، وهو الكل الدائم أو الكون. وليس ماهية واحدة فقط وإنما تعبير ضروري عن صورة المعرفة الذاتية وعن الهوية الأشياء وهوية الثابت أساسها الثابت هى الهوية المطلقة في وقت معاً وفي مجموعها وكل شئ يعبر عن الشمول **Totalitat** وهذا هو ما ينعته شلنج باسم الكلية النسبية في مقابل (الكلية) المطلقة)[2].

وبهذا تنطوي هذه الفكرة علي (الدوجماطيقية) أي بمعني أتجاه للحيادية بالنسبة للمضمون الروحي وخضعوه للنسبية وسيطرة العقل الذاتية)[3] بالنسبة للمضمون العقلي وخضعوه للمطلقة.

وبدأت هذه النظريات بالعقلية مع بداية القرن التاسع عشر وحتي أواخر القرن العشرين وبداية القرن العشرين، حتى الآن مازالت مستمرة في التطور عبر التاريخ الإنساني، والنظريات العقلية مرتبطة بالمذاهب والإيديولوجيات والتناقضات المطروحة في عالمنا القديم الحديث والمعاصر والعولمة ووفقاً لهذه التحديات في ميكانيكية العولمة بين الإدارة والعلم وبين الاقتصاد والسياسة وأستاتيكية الاجتماع وبين إيديولوجية العقل وإيديولوجية الفلسفة.

وأن الحقيقة في الانتاج الفكرى نابعة من الانتاج العقلي ومن هنا أنطلقت هوية الاتجاهات العقلية في أتجاه الإنسان الفرد والمجتمع والدولة والدول والقارات في العالم

---

1 – نفس المرجع السابق ص 108.

2 – نفس المرجع السابق ،ص 30.

3 – جورج لارين، الايدولوجيا، الهوية الثقافية. ترجمة ،فريال حسن خليفة:القاهرة: مكتبة مدبولي للنشر، الطبعة الأولي، 2002، ص 76.

وخاصة بعد ما اتجهت النظريات العقلية محل دراسات وأبحاث النقدية بين هوية الحداثة وهوية العولمة وكيف أرتبطت هذه الهويات مع نظام العقول عند البشر (الجمهور) والدول (الدولية) والعالم (العالمية) والقارية (القارات العالم) (أو جزء من القارية (الفضائية) ؟.

وتبدأ هذه الرؤية العلمية حقيقة إستراتيجية في تطور علم الهوية اتجاه العالم وأتجاه التعددية وأتجاه الانقسام الفعلي والانقسام الديني والسياسي في القضايا الأمنية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والقانونية، لأن الهوية تعتبر ماهية للوصول والأشياء أتجاه الموجودات الواقعية والإنسانية والمذهبية والعنصرية، كأدوات محركة للآلة الاستعمارية والإمبريالية والصهيونية اتجاه للهوية في عالمنا المعاصر وعالمنا المعولم وذلك لغرض تحقيق الأهداف والمشروعات في المدى القصير والمتوسط والطويل (بعيدة المدى).

ولكن تظل الهوية المشكلة الرئيسية عند الساسة الرأسماليين والدول المتحالفة ضد الهوية مثل ما هو الحاصل الآن في العراق، وخاصة فيما يتعلق بالهوية الاجتماعية والهوية الاقتصادية والهوية الدينية، لأن الاستعمار تغيرت اتجاهاته الأستعمارية بأسم الهوية بدلاً بأسم حقوق الإنسان في هذا عصر وذلك من اجل تحقيق مصالح شخصية والذاتية ومثل هذه الأشياء تعتبر حقوقاً رئيسياً وعاماً للشعوب في دول العالم مهما كانت نوعية اختلاف في الهويات والثقافات والأديان والحضارات والأجناس لأنها المنبع الوريدي لفلسفة وأيدلوجية المجتمعات المختلفة سواء كانت مجتمعات رئيسية والفرعية أي المدنية أو الريفية المحلية والذي تعتبر من ضمن أساسيات الحضارية العلاقة الإنسانية ومن الممكن تحديد العلاقة التبادلية بين العقل المطلق والعقل النسبي .

ومن هذا المنطلق تري الكاتبة في إطار هذه التحليلات بأنها لا تريد أن تكون متماسكة بين العقل التجريبي والعقل العقلي في داخل الفلسفة الواحدة للهوية، وإنما تريد أن تكون وجود هناك تعدد في الهويات بين المجتمعات ودول العالم وتعدد في العقول بين البشر، حتي نستطيع أن نحدد نطاق القضايا التاريخية المطروحة بين العموميات الخصوصيات وتحديد نطاق القوميات والوطنيات بين الدول وبين القارات في العالم.

ولاننسي أيضاً بأن وجود هناك العديد من الفلاسفة والعلماء الذين كان لهم أثر كبير في إحداث تاريخ فلسفة الهوية وإحداث فلسفة العقلية، ومن هؤلاء وهم اسيبوزا وديكارت لوك وهيوم وشيلنج وشوبنهار ونتيشة وغيرهم من الفلاسفة والعلماء الذين

أسسو نظريات عقلية وتجريبية لتحديد صيغة العلاقة البشر بالهوية العقليـــة والعلاقـــة النظريات الإيديولوجية بالمذاهب والعنصرية والطائفية ... الخ.

وتذهب الهوية الدولية في المذهب العقلاني علي أن (لا يمكـــن اســـتنباط الكليـــة والضرورة وهما الصفتان الملازمتان المنطقيتان للمعرفة الحقة من التجربة وتعميمها، إنمـــا يمكن استنباطها فقط من العقل نفسه، أما من مفاهيم فطرية في العقل (نظرية الأفكـــار الفطرية عند ديكارت) أو من مفاهيم لا توجد إلا في شكل اســـتعدادات مـــسبقة في العقل.

وتؤثر الخبرة تأثيراً معيناً علي مظهر هاتين الصفتين، ولكن طابع الكليـــة المطلقـــة والضرورة المطلقة تغطية لهما التجربة السابقة وأحكام العقل أو أشكال أولية مـــستقلة استقلالاً مطلقاً عن الخبرة.

وبهذا المعني فان المذهب العقلاني قد ظهر كمحاولة لتعليـــل الخـــصائص المنطقيـــة للصدق الرياضي والعلم الطبيعي الرياضي، وكان ممثلوه في القرن السابع عشر ديكارت سبيوزا ولايبنتز، وفي القرن الثالث عشر كانط وفيخته وشلنغ وهيغل، ويمكن قـــصوراً المذهب العقلاني في إنكاره للقضية التي لا تنازع لهاتين الصفتين المنطقتين، ولا يعـــرف بجدل انتقال المعرفة من الكلية والضرورة الأعلى والمطلقة وقد تغلبت علي هذا التصور في المذهب العقلاني الفلسفة الماركسية التي تبحث عن المعرفة في وضعها مع الممارســـة والطابع العقلاني للفكر والنظرة العامة للعالم وهو لا يشمل فحسب نظرية المعرفة، بـــل أيضاً علم نفس، وعلم الأخلاق وعلم الجمال، وفي علم الجمال يضع الاتجاه العقلاني في المعرفة الوظائف النفسية الذهنية فيرد الإدارة مثلاً إلي العقل (سبيوزا) وفي علم الأخلاق يعطي المكان الأول للدوافع العقلية والمبادئ العقلية للنشاط الأخلاقي، وفي علم الجمال يعطي المكان الأول للطابع العقلي (الذهني) للعمل والإبداعي، وهنا فالمذهب العقـــلاني يعني الإيمان بالعقل، وبهذا المعني يتعارض المذهب العقلاني مع النزعة اللاعقلانيـــة، وفي اللاهوت، المذهب العقلاني اتجاه يذهب إلي أن العقائد الدينية المقبولة هي تلـــك الـــتي يعتبرها العقل متفقة مع المنطق للعقل)[1].

1- وضع لجنة من علماء الأكاديميين السوفياتين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم. بيروت:دار الطليعة الطبعـــة الأولي، 1974،الطبعة الرابعة ،1981م ،ص 472 ، ص 473.

وهذه بالنسبة لتفسير العلمي للمذهب العقلاني ذات الكلية المطلقة وكيفية تأثير علي تطور الهوية العقلية الدولية في العصر الراهن لأن كل المسائل مرتبطة بالعلوم والتخصصات الأخرى، النابعة من هوية تلك العلوم المختلفة وخاصة فيما يتعلق بالوجود والفلسفة والوطنية والقومية، لأن كل هذه التخصصات مرتبطة بالإنسان وبالدوافع والمبادئ والأحكام العقلية وبالعالم العقلي ولكن وفقاً لهذه الظواهر الباطنية لتفسير الأشياء الجوهرية إلي مخرجات الدنيا ويعطينا في الواقع الوعي الكامل والإدراك بالمعرفة العقلية من الواقع إلي المتوقع في نفس الوقت مع وجود الافتراضات الفلسفية والعقلية في نفس الوقت وفي عصور مختلفة القديمة، والحديثة، والمعاصرة والعولمة لأن التناقض بين الشخصية الذاتية للهوية والشخصية العقلية للهوية في إطار الدولي والقاري تتم من قبل إيديولوجية الرأسمالية في سياستها الجديدة نحو الهوية العامة اتجاه الدول وخاصة الدول العربية.

ومادام تطرقنا إلي المذهب العقلاني في الهوية، كان لابد لنا من استوضاح المذهب النسبي لأن كل من المذهب العقلاني والمذهب النسبي مكملان للواقع الخلية العقلية في العالم، من حيث الموضوعية والمادية (تطور الجدلية)، عبر الوطنية (عبر القارات)، ومن حيث الهوية الدولية وربطها بالتداعيات العالمية الراهنة، لذلك يعتبر هنا المذهب النسبي هو عبارة نظر مثالية عن نسبية واتفاقية وذاتية المعرفة الإنسانية.

وحين يذكر مذهب النسبية نسبية المعرفة، فأنه ينكر المعرفة الموضوعية، ذاهباً إلي أن معرفتنا لا تعكس العالم الموضوعي وقد عبر عن هذا الرأي بوضوح فعلاً في فلسفة (نحورغياس)، رغم أن النسبية عنده كانت لها دلالة ايجابية لتطور الجدل، ومذهب النسبية بوجه عام شائع لدي المذاهب المثالية الذاتية واللأدارية فقد كان ممثلاً واحداً من المبادئ المعرفية للمثالية الفيزيقية وتعترف المادية الجدلية بنسب المعرفة، ولكن بمعني أن كل مرحلة تاريخية فيها محددة بمستوي معين من تطور القوي الإنتاجية والعلم، وليس بمعني نفي الحقيقة الموضوعية.

وتستخدم بعض الجدلية بنسب المعرفة، ولكن بمعني أن كل مرحلة تاريخية فيها محدودة بمستوى معين من تطور القوى الانتاجية والعلم،وليس بمعني نفي للحقيقة الموضوعية وتستخدم بعض الاتجاهات في الفلسفة المعاصرة النسبية كوسيلة للصراع ضد

الفلسفة المادية)[1]، وخاصة في هذا العصر بالرغم من وجود النظرة المثالية عن المذهب النسبي.

ومن هنا نستطيع أن نحدد العلاقة التبادلية بين هوية المذهب العقلاني وهوية المذهب العقلاني وهوية المذهب النسبي من حيث التجربة والتطور والاعتقاد والتضاد الذي يسمح للعقل باستخدام أدوات التفكر وجمع الأفكار في مواجهة الصراع علي هوية ومقاومتها بالطرق تاريخية وعقلانية وحضارية وتقدمية، وذلك لتحرير الواقع الديني والأمني من ميثولوجية (علم الأساطير) الذي تتحكم وتسيطر علي الذاتية العقلية بين إطار الاستعماري والإطار العسكري والذي تعتمد علي خلق أكاذيب للانقسام في الهويات لإثارة المشكلات في ميدان الحربي للعقل والصراع الإيديولوجي والفلسفي للواقع السياسي والديني.

وهنا تبرز العلاقة العكسية بين العقل والهوية، وذلك من أجل إبراز الهوية العالمية الجديدة في وجود هوية العالم في نفس الوقت في الأنظمة العسكرية والأجهزة الاستعمارية.

وحيث أن تكون هذه العلاقة مضادة للفرد والمجتمع ودولة والقارة ومضادة للشعوب في العالم سواء كان علي المستوي (العربي والقطري والإقليمي والقاري والعالمي) لإنها قائمة علي المصالح الذاتية والشخصية للهوية العولمة وفقاً سياسات واستراتيجيات الراهنة ووفق رغبات الكيونة.

أما قيمة الهوية في العقل تكمن في الدبلوماسية السياسية والاقتصادية لان هوية المجتمعات والدول والقارات في العالم قائمة علي الأخلاق والسيادة والاستقلال المطلق من الدولة الواحدة أو مجموعة الدول والقارات وقائمة علي العلاقات الإنسانية والاجتماعية في إطار التعامل والسلوك بين الدول في ظل العلاقات الدولية والقارية وهنا تخلق العلاقة الكلية بين الهوية والدول والقارات وتكون مكملة للعلاقة الجزئية.

ونتيجة التحليلات السابقة حول تطور إيديولوجية العقل وعلاقتها بالهوية تكونت لدينا، مناهج علمية في الإنتاج الفكري والإنتاج المعرفي بين علاقتين العلاقة السالبة والعلاقة الموجبة وكليهما مكملان للآخر في الإنتاج العقلي والأفكار والمعلومات ولكن

1- نفس المرجع السابق ،ص 473.

في هذا الإطار يخلق لنا في نفس الوقت علاقة تناقض في الذهن الإنساني وفي الهوية وتعددها في العقل الباطن.

مما تقدم يمكن لنا القول بان تطور إيديولوجية العقلية للهوية الدولية، تكمن في الجانب المطلق والنسبي في حل قضايا الدولية وأيضاً في الصراع العقلي والصراع الإيديولوجي وهذا ساعد علي وجود تناقض بين الهوية الذاتية والهوية الدولية في الخصوصيات وفي حل المشاكل العالقة، المشتملة في الطائفية والقبلية والعصبية والقومية والوطنية والدينية وخاصة بعدما أرتبطت الأنظمة السياسة مع الأديان السماوية والحضارات التاريخية وكيفية ربطها بالإيديولوجية الدينية وبالإيديولوجية التاريخ القديم والحديث والمعاصر وعصر العولمة وذلك لتأسيس المذاهب (المذهبية الجديدة) والنظريات الجديدة من الناحية العلمية والسياسة والفلسفية والقانونية.

فعلاقة هنا تكون بين هوية الثقافة الإمبريالية الجديدة وهوية العالم العربي والقاري والدولي في إطار تنوع في الثقافات والحضارات، وهنا يكمن التواصل والتفكير والذاتية والشخصية العالمية للهوية في عصر العولمة من أجل المصلحة والمنفعة، وأن التصورات الخيالية بين العقلية والعقلانية والكلية والنسبية وبين التباعد والتقارب في نفس الوقت أدي إلي الزيادة في الانقسامات يعني الزيادة في التعددية والمذاهب والشمولية العالمية بين الهوية الواحدة والهوية المتعددة بين الدول العالم وخاصة الدول العربية (مجتمعات العالم الثالث)،متعددة في الدولة الواحدة وليس في الدول المتعددة في شكل الفضائي أو القاري لإنهم غبر متحدين في هذا العصر بسب العوامل الاستعمارية.... إلخ. والخلافات الطائفية والقبلية في العالم الإفريقي وهنا أدي إلي تنوع في لعبة الشطرنج الدولية والقارية في ديناميكية العولمة الجديدة، وأدي إلي الدوران في ملعب واحد ومتعدد في نفس الوقت في الرقعة الشطرنج الدولية وفي إبراز العلاقة التباين وعلاقة التوافق في آن واحد.

وهذا بالطبع محل التأثير علي العالم العربي بدرجة الأولي تم علي العوالم الأخرى بدرجة الثانية مثل العالم الغربي الأوروبي والعالم الإفريقي والآسيوي وأيضاً حتي العالم الأمريكي بالرغم انه هو العقل الرئيسي في أحداث وإثارة انقسامات جديدة للهوية في عالمنا الراهن.

*** *** *** *** ***